

كوردستان
في سياسة القوى العظمى
١٩٤٧ - ١٩٤١

برهان الدين أ. ياسين
ترجمة هوراس

الى والدي العزيزين

اهدي اطروحتي هذه

برهان أ. ياسين

شكر وتقدير

ان طريق هذا البحث كان طريقاً طويلاً. وقد حظيت بمساعدة من اناس كثيرين على طول الطريق. انني مدين كثيراً لأستاذي المشرف [على هذا البحث] البروفسور سفن تاگل Sven Tagil. فقد كان موجهاً لي طوال عمل هذه الاطروحة. وقد زودني بتعليقات لا يمكن الاستغناء عنها على نُسخ مختلفة من مخطوطتي. وكان صبوراً بشكل يثير الاعجاب فيما يتعلق بهذه الدراسة. والحقيقة ان انجاز هذه الاطروحة كان مستحيلاً بدون توجيهه وتشجيعه ودعمه لي. وقد قرأ مخطوطتي كل من الاساتذة بينغت انكارلو Bengt Ankarloo، وإيفا اوستر بيرغ Eva Osterberg و الدكتور عثمان أ. علي، ومرشح دكتوراه الفلسفة خالد صالح، وقدموا جميعاً اقتراحات بناءة. انني مدين بالشكر لملاحظاتهم النقدية وبصيرتهم النافذة القيمة.

وانني ممتن بشكل خاص ايضاً لزميلتي ياسمين أيماق Jasmine Aimaq، التي راجعت لغتي الانكليزية وادخلت بذلك تحسينات على مخطوطتي. ان المخطوطة النهائية تحولت الى كتاب بمساعدة من فايكنغ ماتسون Viking Matt- soon، والذي ادين له بالفضل كثيراً جداً. وانني ممتن كذلك لتوماس تاگل Tomas Tagil لقيامه برسم الخرائط. اتوجه بالشكر ايضاً الى الكثير من المدرسين والزملاء الذين وجهوني، وقدموا لي المشورة، ودعموني، وشجعوني على مر السنين.

برهان الدين أ. ياسين
لوند Lund
شباط ١٩٩٥

المختصرات

DSDF = Department of state Decimal File	ملفات وزارة الخارجية الامريكية [المرقمة] عُشرياً
FO = Foreign Office	وزارة الخارجية البريطانية
FRUS = Foreign Relation of the United States.	العلاقات الخارجية للولايات المتحدة.
NA = National Archives, Washington D.C.	الارشيفات القومية، واشنطن دي.سي.
PRO = Puplic Record Offic, London	دائرة السجلات العامة، لندن .
UN = United Nations.	الامم المتحدة

المحتويات

الفصل الاول: تمهيد

- الاطار وهدف الدراسة.
- النظرية والمنهج.
- مفاهيم وتعريفات.
- الابحاث السابقة ومادة [الدراسة].

الفصل الثاني: الكورد؛ خلفية عامة

- الكورد وكوردستان.
- الكورد في الامبراطورية العثمانية.
- القومية الكوردية.

الفصل الثالث: الكورد في ايران حتى عام ١٩٤١

- الكورد في ايران قبيل الاحتلال الانكليو - سوفييتي.
- الاحتلال الانكليو - سوفييتي لايران.
- النشاطات الالمانية والكورد في ايران المحتلة.
- الكورد في ايران بعد الاحتلال.

الفصل الرابع: القوى العظمى والكورد، الطور الاول ١٩٤١-١٩٤٣

- السياسة الكوردية لبريطانيا العظمى.

- ـ السياسة الكوردية للاتحاد السوفيتي.
 - ـ الكورد والايраниون والقوى العظمى.
 - ـ الكورد والعلاقات بين القوى العظمى.
- الفصل الخامس: القوى العظمى والكورد، الطور الثاني ١٩٤٤-١٩٤٥**

- ـ اصول الحرب الباردة.
- ـ سياسة الولايات المتحدة في ايران والكورد.
- ـ الازمة النفطية الايرانية ـ السوفيتية.
- ـ السياسة الكوردية للاتحاد السوفيتي.
- ـ الكورد، الايرانيون، والقوى العظمى.

الفصل السادس: القضية الكوردية في العراق خلال الحرب العالمية الثانية.

- ـ الكورد في العراق قبل الحرب العالمية الثانية.
- ـ [الكورد في العراق] خلال الحرب العالمية الثانية.
- ـ انتفاضة ملا مصطفى ١٩٤٣-١٩٤٥.
- ـ مفاوضات اخرى مع ملا مصطفى.
- ـ القلق الامريكي.
- ـ السياسة الكوردية الحذرة لبريطانيا العظمى.
- ـ مفاوضات مع شريف بانا.

الفصل السابع: تأسيس جمهورية كردستان الشعبية عام ١٩٤٦.

- ـ الطريق الى تأسيس جمهورية كردستان الشعبية.
- ـ تشكيل التنظيمات السياسية.
- ـ الصلة السوفيتية.
- ـ اعلان جمهورية اذربيجان المستقلة ذاتياً.
- ـ تأسيس جمهورية كردستان الشعبية.

- العلاقات مع الحكومة المركزية.
 - جمهورية كردستان الشعبية وجمهورية اذربيجان المستقلة ذاتياً.
 - سياسة القوى العظمى تجاه جمهورية كردستان الشعبية.
- الفصل الثامن: زوال الجمهورية.**

- الصلات الداخلية والایرانية
- الدبلوماسية الإيرانية والصلات الدولية.
- العاقبة. (او النتيجة).

الفصل التاسع: استنتاجات.

هوامش الفصول

المصادر والمراجع

- أ- وثائق غير منشورة:
- ١- دائرة السجلات العامة (لندن):
سلسلة Fo.371 (مراسلات دبلوماسية) ١٩٤١-١٩٤٧.
- ٢- الارشيفات القومية - واشنطن دي سي:
ملفات وزارة الخارجية الامريكية [المرقمة] عشرياً، مجموعة السجل ٤٩، السنوات
١٩٤١-١٩٤٧.
- ب - وثائق منشورة ومطبوعات رسمية.
- ج - الكتب والمقالات:
- ١- باللغات الاوربية.
- ٢- باللغات الكوردية والعربية والفارسية.

الفصل الاول

تمهيد

- الاطار وهدف الدراسة.
- النظرية والمنهج.
- مفاهيم وتعريفات.
- الابحاث السابقة ومادة [الدراسة].

الاطار وهدف الدراسة:

تعد القضية الكوردية احدى اكثر المسائل المعقدة والمتفجرة التي تواجه الشرق الاوسط في الوقت الحاضر، وهي تحتل مكانة بارزة بين العديد من المشكلات العرقية - القومية في فترة ما بعد الحرب. ان حلاً للمعضلة الكوردية كان في متناول اليد بعد نهاية الحرب العالمية الاولى، وبعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ومع ذلك يبقى الكورد اليوم الجماعة العرقية الاكبر في الشرق الاوسط التي لم تحرز اي شكل من اشكال الدولة^(١).

سعى الكورد، على مدى عقود عديدة، الى التحكم في قدرهم، فقد اندلعت انتفاضات في كوردستان تركيا^(٢) في الاعوام ١٩٢٥، ١٩٢٧، ١٩٢٨-١٩٣٠، ١٩٣٧. كما حدثت انتفاضات مماثلة في العراق.

ففي عام ١٩١٩ انتفض الشيخ محمود البرزنجي ضد البريطانيين. واعقبت ثورة العشيرة البارزانية ضد الحكام البريطانيين والعراقيين في عام ١٩٣٢ ثورات اخرى في الاعوام ١٩٤٣ و ١٩٤٥. وقد أخذت كل تلك الانتفاضات.

ان بعض الباحثين ركزوا على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للقضية الكوردية، بينما

أكد آخرون على الطبيعة العرقية - السياسية للمسألة^(٣) وبالرغم من أهمية كلا هذين البعدين، إلا أن القضية الكوردية يمكن توضيحها بشكل أفضل من خلال دراسة مجموعة متنوعة من العوامل. وتكمن بعض تلك العوامل ضمن نطاق المجتمع الكوردي نفسه، بينما تكمن عوامل أخرى خارجه، أي في سياسات الدول التي تواجه القضية الكوردية، وفي مجال التنافس الدولي الأوسع.

إن الحقبة ١٩٤١-١٩٤٧ تقدم ميدان دراسة مثيرة للاهتمام تبين علاقة تفاعل قوية فيما بين عددٍ من العوامل، مع تأكيدٍ على البعد الدولي.

لفتت القضية الكوردية اهتماماً متزايداً في الأوساط الأكاديمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتحاول هذه الدراسة وضع تاريخ الكورد، وخصوصاً كورد إيران، ضمن الأطر الأكبر لتاريخ الشرق الأوسط المعاصر، بالإضافة إلى ربط الكورد بالتطورات الرئيسية إبان الحقبة ١٩٤١-١٩٤٧. وستتضمن هذه الدراسة المستويات المحلية والوطنية والدولية، مع تأكيد خاص على سياسة القوى العظمى تجاه الكورد. لقد ادعى مهرداد ايزادي بأن الكورد ومصيرهم السياسي في قرننا ينبغي أن يفهم ضمن إطار سياسات القوى^(٥). وعلى النحو ذاته استنتج جورج لنشوفسكي بأن أنشطة القوى العظمى بين الكورد خلال الحرب العالمية الثانية تبرر القيام بدراسة في هذا الصدد^(٦).

لقد طبق ديبولو. جي. أرجيل مفهوماً من مفاهيم ماكس ووبر، ألا وهو مفهوم «الامكانيات الموضوعية» على موضوع الحركات القومية^(٧). ووفقاً لأرجيل فإن ما يقرر درجة نجاح أية حركة قومية في تحقيق أهدافها ليس الحجم والمدى التام. بل إن امكانية حركة ما لتحقيق درجة أكبر أو أقل من النجاح تعتمد على «ظروف خاصة» قائمة في حينها، والتي إما تعيق أو تسهل نجاح حركة قومية ما. ففي ظروف خاصة قد تبلغ الحركة الذروة بتشكيل دولة قومية. وبتعبير آخر فإن معيار نجاح الحركة يكمن بدرجة كبيرة في الظروف التي تقع خارج الحركة نفسها، أو في «الامكانيات الموضوعية» القائمة في الظروف في وقتٍ محدد. وهكذا فإن حركة قومية ما قد تحقق، في ظرفٍ تاريخي محدد، درجة من النجاح قد يصعب عليها تحقيقه في ظروف مختلفة، بغض النظر عن حجم ومدى الحركة ذاتها. إن هناك الآن، على سبيل المثال، العديد من الدول المستقلة ذات السيادة التي تضم أقل من مليون نسمة من السكان، وبعضها

أقل من نصف مليون نسمة.

في الحقيقة ينبغي النظر الى الحقبة قيد الدراسة بوصفها ظرفاً تاريخياً محدداً ترتبت عليه «امكانية موضوعية» للحركة القومية الكوردية، وخصوصاً تلك التي في ايران، لتحقيق درجة معينة من النجاح. ففي تلك الظروف وجدت الحركة القومية الكوردية نفسها امام فرصة لا سابقة لها للتعبير عن نفسها وتحقيق بعض الانجازات المهمة، وإن كانت مؤقتة - وبالرغم من ان المحور الرئيس لهذه الاطروحة هو الكورد في ايران، الا انها ستقدم تمهيداً عاماً عن الكورد وكوردستان، وكذلك مناقشة حول القضية الكوردية في العراق.

كانت ايران البلد الوحيد الذي التقت فيه قوات الحلفاء في وقت مبكر في الاعوام ١٩٤١-١٩٤٢. وقد شجع ذلك على تورط القوى العظمى في الشؤون الكوردية. واصبحت ايران حالة اختبار لكل من الثلاثة الكبار (بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية) وللأمم المتحدة. لقد نجح الكورد في ايران في تأسيس جمهورية خاصة بهم في مدينة مهاباد في كانون الثاني ١٩٤٦، وهي جمهورية كوردستان الشعبية التي استمرت حوالي عام واحد. ان الامم المتحدة سعت الى تسوية ترضي طموحات الايرانيين للاحتفاظ بكامل اراضيهم، واهملت مستقبل الكورد ومصير جمهوريتهم. وبالإضافة الى ذلك كانت ايران قد لفتت منذ أمد بعيد انتباه القوى العظمى من المنظرين الاستراتيجي والاقتصادي. ان الصراع الذي نشأ عن تضارب المصالح بين بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية بلغ ذروته بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وكان الكورد جزءاً من هذا الاطار. لقد توصل منوچهر فاهدات في اطروحته الى ان التاريخ الايراني المعاصر في عقد الاربعينات، وخصوصاً حقبة ١٩٤١-١٩٤٧، اتسم بتفاعل شامل بين المشكلات الايرانية الداخلية وبين القضايا التي تخص علاقات ايران مع القوى العظمى^(٩). وطوال تلك الحقبة، وخصوصاً في عامي ١٩٤٥-١٩٤٦، كانت الحركات القومية الكوردية والاذرية من بين اخطر المشكلات التي جابهت ايران، وكان هذا مرتبطاً بسياسة الثلاثة الكبار سواءً في / او تجاه ذلك البلد. لقد عُرِفَت المعضلة ايضاً بأسم اذريجان (اذريجان الايرانية)، والتي انطوت على كفاح كلا الحركتين القوميتين الكوردية والاذرية، إضافة الى قيام وسقوط الجمهوريتين المستقلتين استقلالاً ذاتياً في كوردستان الايرانية واذريجان الايرانية^(١٠).

اما بالنسبة الى الكورد في تركيا فأنهم تعرضوا الى معاملة قاسية جداً خلال العشرينات والثلاثينات بحيث انهم كانوا، في واقع الحال، غير قادرين على الثورة خلال الفترة قيد الدراسة. وقد طوقت الحكومة التركية كوردستان بـ«ستار حديدي» في عام ١٩٤٦، وقامت بعسكرة Militarised المنطقة وحرمت بذلك الكورد من امكانية القيام بانتفاضة ضد الحكومة، وعزلت في الوقت ذاته المنطقة عن بقية اقسام كوردستان.

ان هناك عدداً من الاسئلة الوثيقة الصلة بهذه الدراسة وهي:

١- كيف تأثرت القضية الكوردية والحركة القومية الكوردية بالتطورات الوطنية والدولية خلال الفترة ١٩٤١-١٩٤٧؟

٢- كيف كان رد فعل الكورد تجاه المناخ السياسي في هذه الفترة؟

واين يقف الكورد بالنسبة الى سياسة الشرق الاوسط التي ادارها الثلاثة الكبار (بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية)، وبالنسبة الى ايران؟

٣- ماهي الصلة بين خلفية ظهور وسقوط جمهورية كوردستان الشعبية من جهة واصول الحرب الباردة في اطار الشرق الاوسط من جهة اخرى.

النظرية والمنهج:

ان اغلبية الدول في العالم اليوم غير متجانسة عرقياً، وان الاختلافات العرقية في اي بلد معين تحظى بأهتمام كبير من الطلبة المعنيين بدراسة الاعراق والصراعات العرقية. وبالرغم من ان الاختلافات فيما بين الجماعات لا تشكل سبباً كافياً لتطور حركة عرقية - قومية، الا انها تُعد شرطاً رئيسياً لقيام مثل هذه الحركة. ان احدى المسائل المهمة في هذا السياق هي العلاقة بين الجماعة العرقية والدولة المركزية. وقد دُرُس هذا الموضوع من قبل الباحثين الذين استخدموا مفهوم علاقات «سيطرة» بين المركز والمحيط. ومع ان هذه النظريات التفسيرية قد كُرس لتحليل الصراعات السياسية والعرقية، الا ان في الامكان تطبيقها على دراسة الحركات العرقية - القومية ككل^(١١). ان نظرية المركز - المحيط Centre- Periphery theory لميكائيل هيشتر تقدم تفسيراً مثيراً للاهتمام لمفهوم السيطرة. وتستند نظرية هيشتر هذه الى مفهوم الاستعمار الداخلي Internal Colonialism^(١٢).

وتتناول دراسة هيشتر العلاقة بين المركز الانكليزي والحافة السلتيية Celtic Fringe*) والتفاوت الاقتصادي والسياسي الناتج عن كون الاولي اكثر تطوراً من الأخيرة.

ان ضعف نظرية المركز - المحيط هو صعوبة تقرير الحدود بين ماهو مركز وما هو محيط احياناً. واحدى التعقيدات المهمة هي ان المحيط لا يكون مغايراً دائماً للمركز اجتماعياً وسياسياً، والشيء ذاته يمكن ان يقال عن المركز. والواقع ان للمحيط «مركزه» الخاص به، وفيه جماعات ثانوية Sub- groups او جماعة موسرة ذات امتيازات تتعاون مع المركز - وعلى غرار ذلك يكون للمركز «محيطه» الخاص به، اي المعدمين او الجماعات المحيطية ضمن المركز، او الجماعة العرقية التي يظن انها يجب ان تكون الجماعة المهيمنة في المركز(١٣).

وثمة عامل آخر يمكن ان يدعم الحركات العرقية - القومية وهو تغلغل المركز في المحيط. وقد يكون هذا التغلغل اقتصادياً او سياسياً او ثقافياً او بشرياً، اي الوجود العسكري في المحيط والسيطرة عليه، وغالباً ما ينظر الى ذلك بوصفه محاولة من قبل المركز للسيطرة واستيعاب الجماعة العرقية المحيطية(١٤). وبذلك يعبر المركز عن قدرته على فرض ارادته على الجماعة العرقية في المحيط. وفي حالات عديدة يُنظر الى برنامج التحديث الذي يُدشن من قبل المركز بوصفه وسيلة تغلغل وتهديداً مباشراً لاعمال التنظيم الاجتماعي والسياسي التقليدية في المحيط. وفي مناقشةٍ لمغزى التغلغل بالنسبة للحركات الانفصالية العرقية - القومية تستنتج جوان ناجيل بان بعض الجماعات او الاشخاص في المحيط هم، في الواقع، غير مهتمين بالمشاركة في اعمال عرقية محيطية ضد المركز(١٥). ان ارجحية ان تصبح جماعة ما فعالة في اي فعل / رد فعل يعتمد على مدى تهديد التغلغل للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للجماعة العرقية.

ان ضعف السلطات المركزية قد يخلق احياناً الفرصة لمحيط مكبوت للقيام بشورة انفصالية(١٦). وقد تقوم الحركات العرقية - القومية بعمل ضد المركز في اوقات فراغ القوة او السلطة «Power Vacuum».

ان من المهم فعلاً، لاجل فهم تطور الحركة العرقية - القومية الكوردية في ايران، ادراك فراغ

(*) يُراد بالحافة السلتيية هنا ايرلنده وسكوتلنده ومقاطعة ويلز. (المترجم).

القوة او السلطة في ايران إثر الغزو الانكلو - سوفيتي للبلاد في آب ١٩٤١، وكذلك الافول
اللاحق لقوة السلطات المدنية والعسكرية.

وبالاضافة الى الاختلافات العرقية، والتغلغل من قبل المركز في المحيط، فان تنشيط حركة
ما يتطلب تعبئة سياسية تتجسد في شكل تنظيمات عرقية قومية^(١٧). والواقع ان تأسيس
مثل هذه التنظيمات كان اساسياً لانجازات الحركة الكوردية في الفترة قيد الدراسة، كما
سنناقش ذلك لاحقاً.

* * *

إبتلي طلاب العلاقات الدولية طويلاً بالالتباس فيما يخص علم المصطلحات. ان
مصطلح «Nationalism - ناشنالزم»، على سبيل المثال، قد يتعامل احياناً مع
الدول «States» وفي احيان اخرى مع الامم «Nations» والقوميات او
الجنسيات «Nationalities»، والجماعات العرقية^(١٨). وقد أهمل بحث البُعد الدولي
للحركات العرقية - القومية الى حد كبير^(١٩). ويمكن دراسة مثل هذا الموضوع بوضع جماعة
عرقية - قومية معينة ضمن نسق التفاعلات بين السياسات الداخلية والخارجية. ومن خلال
تنظيم نفسها، والانتفاض ضد السلطة المركزية للدولة، تؤثر الجماعة العرقية في التطور
السياسي للبلد كما تؤثر في علاقاته الخارجية، أي من خلال كسب دعم/ أو تحفيز التورط
المباشر للعناصر الفاعلة الخارجية، وخاصة الدول. ان كلاً من ضعف الحكومة المركزية، والبُعد
الدولي للحركة القومية الكوردية شرطان مهمان لفهم تاريخ الحركة خلال الفترة قيد الدراسة.
ان هذا، على اية حال، مختلف تماماً عن تاريخ العلاقات الدبلوماسية «الرسمية» بين
الحكومات، والتي ستناقش لاحقاً.

وُصفت العلاقات الدولية، بوجه عام، بأنها عملية تفاعل بين الدول «State inter-
action» على المستوى الحكومي. وعلى اية حال فان احدى الفرضيات في هذه الدراسة هي
ان العلاقات الدولية لا تقتصر على دراسة الدبلوماسية الرسمية فيما بين الدول. وان العلاقات
والعناصر الفاعلة التي لا صلة لها بالدولة Non- State actors يجب ان تؤخذ في الحسبان
في دراسة الشؤون الدولية. ان القضايا السياسية الداخلية والعلاقات الاجتماعية وفيما بين

الثقافات المتعددة(*) هي، على سبيل المثال، عناصر مهمة في هذا الاطار (٢٠) ان العناصر الفاعلة التي لا صلة لها بالدولة هي كيانات على نحو مختلف عن الدول، وهي تتفاعل على ميدان التنافس السياسي الدولي (٢١).

ومهما يكن، فإنه صحيح أن العناصر الفاعلة الرئيسية في العلاقات الدولية هي الدول ذات السيادة (٢٢). ان الحكومات ترسم الخطوط الرئيسية للسياسة الداخلية والخارجية، وتصوغ وتنفذ القوانين، وتعلن الحرب وتعقد الصلح، وتخطط شروط ومجال الاتصالات الدولية للقطر والعلاقات الدبلوماسية وما الى ذلك. ويؤكد الباحثون الذين يُشار اليهم بالتقليديين بأن العناصر الفاعلة التي لا صلة لها بالدولة غير مهمة في دراسة السياسة العالمية، بينما يؤكد آخرون على اهمية مثل هذه العناصر (٢٣). ان رأي التقليديين يُعبر عنه النموذج الذي يؤكد على الدور المركزي للدولة «State- Centric»، والذي يستند الى افتراضات عديدة وهي؛ ان الدول متساوية في السيادة بغض النظر عن حجمها وقوتها؛ وان السياسة العالمية تقوم على التفاعل بين الدول حصراً؛ وان العلاقة بين السياسات الداخلية والخارجية ليست وثيقة؛ وليست هناك سلطة فوق سلطة الدولة؛ وان العالم مقسم الى حكومات تمارس سيطرة كلية.

ان النموذج الذي يؤكد على الدور المركزي للدولة يتجاهل وجود واهمية المنظمات الاقليمية والمابين وطنية Trans- National [اي التي تتخطى الحدود الوطنية] رغم حقيقة ان معظم اسباب الصراع الدولي منذ ١٩٤٥ قد تضمنت عناصر فاعلة لا صلة لها بالدولة. ومن امثلة هذه العناصر الفاعلة الجماعات التي «بلا دولة State less» مثل الفلسطينيين والباسكيين والكورد. وهكذا فان النموذج يقلل من قيمة دور الاطراف الاخرى مثل الجماعات العرقية عبر - القومية والتي يُعد الكورد مثلاً بارزاً لها كما يؤكد فيليب تايلر (٢٤). لقد كان الكورد منذ أمدٍ بعيدٍ عاملاً أساسياً في الاقليم الذي يتواجدون فيه وذلك من خلال الاقامة في عدد من الاقطار المتجاورة؛ ومن خلال اشتراكهم بشكل متواصل في الاضطرابات السياسية ضد السلطات المركزية في تلك الدول؛ ومن خلال اتصال الكورد، وخصوصاً الحركات السياسية الكوردية، فيما بينهم عبر الحدود الرسمية للدولة؛ ومن خلال كونهم متورطين في / سياسات

*Cross- Cultural relationships

القوى العظمى في المنطقة ومتأثرين بها.

لقد توصل تايلر الى ان الخطوات التالية مهمة لخلق نسق لتحليل العوامل التي لا صلة لها بالدولة، وهي؛ بناء نموذج للجماعة Typology (الحجم، الموقع الجغرافي، الوظيفة، الاهمية) وتحديد اغراض ووظائف العناصر الفاعلة التي لا صلة لها بالدولة. وفضلاً عن ذلك فان من المهم تتبع علة وجود اية عوامل معينة، واهدافها وطبيعة بُنيته وعملياتها. ان الطريقة التي تنظم بموجبها الجماعات نفسها، وتسعى لاهدافها وتصل الى قرارات محددة، مهمة كلها لفهم سلوك اي عنصر فاعل لا صلة له بالدولة (٢٥).

ان تعريف تايلر وعناصره لبناء نسق للتحليل عملياً الى حد كبير، ويمكن تطبيقه كأطار نظري لسلوك العنصر الفاعل الذي لا صلة له بالدولة. ولكن جهد تايلر يعانِي، على اية حال، من نقاط ضعف معينة. فقد اقصى، في كل من التعريف والعناصر التي حُطّطت للاطار، الافراد البارزين والجماعات غير الرسمية رغم انها قد تكون في واقع الحال عناصر فاعلة مهمة لا صلة لها بالدولة. ومن المستحيل، في تحليلنا للكورد خلال الفترة ١٩٤١-١٩٤٧، اقصاء القادة الكرد، سواء كانوا من الطراز الحديث او التقليدي، والجماعات غير الرسمية مثل العشائر والاتحادات العشائرية.

وفي دراستنا هذه تعمل التنظيمات السياسية الكوردية والزعماء العشائريون والقادة البارزون بأسم الكورد. ومع ذلك سيتم اثبات انه بالرغم من ان السكان الكورد كانوا عنصراً مهماً كفاعل لا صلة له بالدولة، الا ان الدولة تبقى الفاعل المسيطر والحاسم. ولكونهم محرومين من امتلاك دولة، وقنوات دبلوماسية، ومنابر دولية كافية، فان امكانية ان يصبح السكان الكورد فاعلاً مساوياً للدولة محدودة جداً.

وهكذا فان مدلول «السياسة الكوردية» للقوى العظمى لا يبدو ملائماً في عالم الدبلوماسية الرسمية، وبدلاً من ذلك فإنه يرمز الى سياسة دول معينة تجاه جماعة عرقية - قومية وحركتها القومية. وكما ذكرنا سابقاً فان الكورد محرومون من العلاقات السياسية الرسمية مع الدول لأنهم لا يمتلكون دولة خاصة بهم. وفضلاً عن ذلك فان محاولات اية دولة لدعم الكورد بأية وسائل، أو اسناد مطالبتهم بالحقوق المشروعة، غالباً ما تُعد تدخلاً في «الشؤون الداخلية» لتلك الاقطار التي يوجد فيها الكورد. وكانت هذه هي الحالة بالضبط خلال الفترة قيد

الدراسة، فعندما دعم الاتحاد السوفيتي الكورد والجماعات الاخرى في ايران، اتهمته الحكومة الايرانية مراراً بالتدخل في الشؤون الداخلية الايرانية.

* * *

ان الارتباط بين القومية والعشائرية مهمٌ لمسألة الولاء، طالما ان الولاء قد يكون إما ذا طابع عشائري او قومي. ان ولاءً مُعيناً يوجد ضمن العشيرة ويبقى مقتصرأً على حدودها بوصفها مجتمعاً محلياً. وهذا المجتمع يمكن تعريفه إما اقليمياً او على اساس رابطة قرابة النسب حصراً^(٢٦)، مع كون الاخيرة عاملاً اساسياً في اشتراطات التضامن ضمن العشيرة. ان ولاء العشائري هو ولاء لعشيرته اكثر مما هو ولاء لقومية معينة. وزعم مارتن فان بروينسن بان العلاقة بين هذين النمطين من الولاء علاقة تضارب^(٢٧). وعلى اية حال فان القوميين الكورد الرواد قد برزوا من بين الرعامات العشائرية على وجه التحديد^(٢٨)، وخاصة من بين الشيوخ^(٢٩). وفي حالات معينة تضاربت مصالح رؤساء العشائر والشيوخ مع مصالح الحركة القومية^(٣٠). لقد كان نمط الحياة العشائرية ما يزال سائداً في المجتمع الكوردي في الاربعينات. ولذا ففي اية دراسة عن الحركة القومية الكوردية، وعلاقتها بالحكومة المركزية الايرانية خاصة، وبسياسات القوى العظمى، يجب تقدير الدور الذي لعبته العشائر حق قدره. لقد كان رؤساء العشائر عنصراً اساسياً في الاتصالات بين الكورد وبين القوى العظمى في ايران.

ان موضوع بناء - دولة «State- building» مهم ايضاً في هذا السياق. فقد حاولت السلطات الرسمية في الاقطار التي قُسمت كوردستان فيما بينها اقامة حكومات مركزية قوية ودول موحدة، وعملت على تشجيع وعي الانتماء الى الدولة اكثر من الولاء الى الجماعة المحلية^(٣١). ان مثل هذه الجهود لقيت مقاومةً، بصورة رئيسية من قبل قوتين من الجانب الكوردي واللتي يمكن وصفهما بالقومية والعشائرية على التوالي. وغالباً ما كانت لهاتين القوتين نوايا مختلفة في معاداة الحكومة المركزية ومحاولاتها لبناء دولة ذات مركزية قوية. وفي حين ان اهداف القوة الاولى قد صيغت على شكل تعابير الحقوق القومية او حق تقرير المصير القومي، فان القوى العشائرية كانت مدفوعة بالرغبة في العيش بطريقة تقليدية ودون خضوع لسلطة الدولة.

ان الوضع الاكثر ارضاءاً لهاتين القوتين هو وضع حكومة مركزية اضعف من ان تسيطر على كل انحاء البلاد. ومع ذلك فان كلتا القوتين القومية والعشائرية عارضتا محاولات الحكومة المركزية لتعزيز السلطة المركزية وجهازها البيروقراطي، ومحاولاتها لخلق امة - دولة - State-Nation. لقد ظهر تعايشٌ بين نُخبتي هاتين القوتين الاجتماعيتين، وكان هذا التكتل السياسي يرمز الى «تطور» القومية الكوردية من جهة و«ضعفها» من جهة اخرى. وبتعبير آخر فان القوتين قد تعاونتا دورياً لاجل تقوية الحركة، وكانتا، مع ذلك، في خلافٍ حول الاهداف الرئيسية، فخلقتا بذلك اختلافاً داخل الحركة نفسها.

وفي محاولاتهم لاحراز القوة لايتماد رؤساء العشائر على قوة العشيرة ذاتها، بل يجب عليهم محاولة تقوية مركزهم من خلال تحالفات مع عشائر اخرى، ومن خلال مناصرة افكارٍ قومية. ويعكس هذا النمط من السلوك الجهود العشائرية التقليدية لـ«التوحد» مع المشاعر الايديولوجية والقومية لاجل تعزيز قضيتها^(٣٢). ويمكن ان تتعزز قوة رؤساء العشائر من خلال التعاون مع قوى «خارجية» ايضاً^(٣٣)، واعني بذلك مع السلطة المركزية للدولة او مع القوى الاجنبية، مثل القوى العظمى.

وهكذا، يبحث رؤساء العشائر بشكل ثابت عن أطر وافكار جديدة لغرض توسيع فرص ترسيخ قوتهم. ان عشيرة ما قد تجد نفسها قومية، او على العكس في تعاون مع الحكومة المركزية ضد الحركة القومية، وهي بذلك تقوي التعايش في الحالة الاولى وتضعفه في الحالة الثانية، بل تقود، في بعض الحالات، الى انهياره. وتلخيصاً لهذه المناقشة، نستطيع الاستنتاج، كما فعل احد الباحثين، بان «المسألة العشائرية هي بلا ريب مسألة رئيسية في تاريخ الحركة القومية الكوردية»^(٣٤). ان هناك، في الحقيقة، علاقة متضاربة بين القومية الكوردية وبين الولاءات العشائرية والدينية. فمن جهة كان الشيوخ والاعوات قادة قوميين رواد. وبسبب الولاءات الأولى لسلطتهم وللقيم التي يجسدونها اكتسبت الحركة القومية الكوردية سمة جماهيرية.

ومن جهة اخرى ادت النزاعات بين هؤلاء القادة التقليديين الى منع الكورد من العمل بأنسجام^(٣٥).

مفاهيم وتعريفات:

يرجع اصل كلمة عرقي «ethnic» الى المصطلح اليوناني «ethnikos» او «ethnos» الذي يعني اساساً «قوم أو شعب». اما في الاطار الاكاديمي فان مصطلحات جماعة عرقية ethnic group او العرقية ethnicity مفاهيم حديثة نسبياً^(٣٦). ففي البحوث الانكلو - امريكية في مجالات الانثروبولوجيا (علم دراسة اصل الانسان) والاجتماعية - النفسية استخدم مصطلح جماعة عرقية لتصنيف جماعات اجتماعية Social groups ذات خصائص مشتركة مثل اللغة والثقافة والأصل^(٣٧). ويشمل مصطلح العرقية كلاً من المستويين الجمعي والفردى، ويشير المصطلح الى خصائص تجمع بين افرادٍ وتدفع بهم الى اعتبار أنفسهم جماعة متميزة عن جماعات اخرى^(٣٨). ان العنصر الرئيس في هذا التماسك هو الثقافة المشتركة، والتي يترتب عليها نسق من المعتقدات والقيم^(٣٩). ان العرقية تؤدي الى خلق رابطة بين الافراد وتجعل منهم جماعة. والانتساب العرقي يمنح الافراد وعياً جوهرياً بالجهة التي ينتمون اليها. وأسس هذا الانتساب هي الوعي باساليب وتقاليده وقيم مشتركة، وتقرر هذه سوية حدود «الاشترار - Commonness»، وهذه بدورها تُعين حدود تفاعل الجماعة. ورغم ان الحفاظ على الجماعة العرقية يتم بواسطة المشاعر والألفة والشعائر اكثر من الاجراءات المحسوبة، الا انها (اي الجماعة العرقية) ظاهرة غير عقلانية على الاطلاق^(٤٠).

ومن المهم بالنسبة لاغراض دراستنا هذه معالجة مصطلح «العشيرة» الذي صار مبهماً نتيجة للالتباس وسوء الفهم غالباً.

لقد استخدم بعض الباحثين المصطلح لوصف العلاقات ضمت جماعة تقوم على اساس القرابة، والأسر، والعشائر، وسلسلة النسب^(*) ولافراد هذه الجماعات روايات واساطير مشتركة حول اصلهم.

ويطبق آخرون المصطلح على «قومٍ أو شعبٍ People»، اي جماعة ذات ثقافة مشتركة،

(*) Lineage أي الاصول والانساب المنحدرة من أصل مشترك وتعتبر سلسلة النسب اكثر وضوحاً من العشيرة التي قد تتخذ منها جماعات فردية. وهي تقابل، في تقديري، مصطلح الفخذ العشائري وسأشير اليه لاحقاً بهذا المعنى. واترك تقدير المعنى الدقيق للسيد المؤلف (المترجم).

وفي الغالب لغة مشتركة^(٤١). وبالرغم من هذه الاختلافات يمكن استخدام مصطلح «عشيرة» للاشارة الى جماعات صغيرة تتميز بعلاقة القرابة، وتتألف من بطون تؤكد على الاصل المشترك. ان العشيرة الكوردية هي وحدة اجتماعية - سياسية، وغالباً ماتكون وحدة قائمة على منطقة او اقليم «Territorial unit»، وتقوم على اساس الاصل والقرابة، اما بُنيتهما الداخلية فهي كالتالي: تنقسم العشيرة الى عدد من العشائر الفرعية Sub-tribe، والتي تنقسم بدورها الى وحدات أصغر هي البطن والافخاذ..... الخ. ان البطن فرعٌ من العشيرة له اسم خاص به. اما الافخاذ فهي ادنى وأصغر من البُطن، وهي عموماً ذات ادعاءات أقوى بالاصل المشترك. وفي بعض الحالات يتقاسم رجال العشيرة مصالح اقتصادية مشتركة، تستند عادة على الملكية المشتركة للمراعي. وهذه المصلحة المشتركة، اضافة الى الموقع او المحل المشترك، تشكل اساساً صلباً لتضامن الجماعة^(٤٢).

ان مصطلح أمة «Nation» يجب ان يُعالج هنا ايضاً. ووفقاً لاحد التعاريف فان مصطلح «أمة» يُخصص لمجموعة افراد ينظرون الى انفسهم على انهم جماعة واحدة ترتبط بروابط التاريخ والثقافة والسلف المشترك^(٤٣). يقول هيوغ سياتون - واطسون بان شعوراً بالتضامن، والثقافة المشتركة والوعي القومي ينبغي أن يوجد بين افراد الأمة. فالأمة توجد اذا ما اعتبر عدد مهم من الافراد في الجماعة انهم يشكلون أمة، أو يتصرفون كما لو كانوا امة^(٤٤) ان فارقاً مهماً بين التنظيم الاجتماعي القائم على علاقة النسب من جهة، والأمة او الجماعة العرقية ذات الهوية الجماعية Collective Identity من جهة اخرى، هو انه في الحالات الاخيرة يجب ان يكون هناك تضامن بين عدد كبير من الناس^(٤٥).

ان للامم خصائصها «الموضوعية» و«الذاتية» ويمكن ان تتضمن الاولى منها الاقليم المشترك، اللغة، الدين، الاصل رُغم ان كل هذه المكونات لايمكن ايجادها في كل الحالات. ان وعي الشعب بقوميته، والمشاعر التي تُعبّر عنها. تعتبر خصائص «ذاتية»^(٤٦).

وكما في حالة القومية، ليس هناك تعريف مقبول عموماً لمفهوم «الأمة»^(٤٧). وعلى اية حال، يمكن تعريف الأمة بأنها أناس معبؤون سياسياً^(٤٨). ولقد تم التأكيد ايضاً بان الشعب «People» يجب ان يمتلك دولته الخاصة لكي يعتبر أمة، طالما ان الشعب يجب ان يُنعت بجنسية او قومية بطريقة اخرى. ان الادبيات المدونة باللغة الانكليزية تسببت في التباس

كبير فيما يتعلق بمصطلح «الأمة»^(٤٩). لقد أوحى بعض الباحثين بأن الاختلاف بين مصطلح قومية او جنسية Nationality ومصطلح أمة Nation هو ان الاول يُشير الى شعب سعى، ولكن دون نجاح، الى كسب السيطرة على إقليم، بينما ينطبق الثاني على شعب حقق هدفه السياسي في تأكيد السيطرة على منطقة في شكل دولة او منطقة ذات استقلال ذاتي الى حد ما^(٥٠). وعلى اية حال فان تعريف الأمة تعريفاً يقوم على اساس حالة الدولة Statehood اخفق في اتاحة المجال لحقيقة ان هناك شعوباً تُعدُّ أماً في واقع الحال، كالكوردا مثلاً. ولذلك يمكننا الاستنتاج بان الأمة يمكن ان توجد بدون ان تمتلك دولة خاصة بها، وبطريقة مماثلة يُمكن ان توجد الدولة بدون أمة موحدة^(٥١). ومن المهم التأكيد هنا بان مصطلحات أمة، وجنسية او قومية، وجماعة عرقية تستخدم في الغالب بشكل مترادف^(٥٢).

هكذا يمكن تحديد نمطين من الأمة، اعني بذلك الأمة الثقافية والأمة السياسية. ان الامة الثقافية «موضوعية» وتؤسس على معايير مثل التراث واللغة المشتركة، ومكان استيطان محدد، ودين معين، وتقاليد، وتاريخ. أما الامة السياسية فهي «ذاتية» لانها تشتمل على حرية ارادة فردية وجمعية، وتستمد من الافراد ارادة حرة والتزاماً نحو الأمة^(٥٣). ان احدي السمات في هذا السياق هي سمة التحول، او الاسلوب الذي تتحول به امة ثقافية الى امة سياسية بوسائل سياسية متعددة.

ان الأمة تتشكل من خلال وعي الشعب والجماعات الاجتماعية بكونهم أمة، او الرغبة في ان يصبحوا أمة، وبمطالبتهم بحق تقرير المصير. وكقاعدة، يستحيل من الناحية الواقعية تحديد متى ادركت الجماعة الاجتماعية او الشعب لأول مرة انهم يريدون ان يصبحوا أمة^(٥٤). والعنصر الاساسي الآخر في هذه العملية هو تحول ولاء الافراد والجماعات الطائفية [العرقية او الثقافية او المذهبية] من الولاءات الجمعية Collectivities، او الولاء للجماعات الأولية [او البدائية] الى الولاء لجماعات بديلة اكثر «تجانساً»، أي الولاء للأمة^(٥٥).

هناك ثلاث فئات من النُخب القومية، واعني بها السياسية والثقافية والاقتصادية، وان ادوار هذه النُخب مختلفة^(٥٦). ففي احدي نهايتي السلسلة، يمكن ان يضم القوميون جميع الافراد الذين «يعبرون عن الهوية القومية»، والتمركز العرقي (*ethnocentrism)، ونوعاً ما من الاهتمام الاقتصادي والاجتماعي بالأمة^(٥٧).

ويُفضل جيمس كيلاس استخدام مصطلح قومي «Nationalist» محل «المتركز العرقي ethno centrist» (***) عندما يركز على فكرة الأمة بالذات. ويستخدم مصطلح «القومية - Nationalism» للدلالة على افعال او اعمال تتعلق بالأمة (٥٨). ويمكن أيضاً ان يكون القومي فرداً هدفه النهائي ضمان حق تقرير المصير للأمة (٥٩). وعلى اية حال، لا يجب النظر الى القوميين بوصفهم متجانسين بسبب اصلهم المشترك، لانه يمكن ملاحظة العديد من الاختلافات بين القادة القوميين، والناشطين Activists، والمتعاطفين مع الافكار القومية... الخ. ويختلف القوميون من حيث الخصوصية الاجتماعية والاعتبار السياسي، رغم ان القوميين الذين يُظهرون سلوكاً قومياً قوياً يشكلون عموماً نسبة معينة من أية امة (٦٠). ويمكن القول ان المثقفين هم القوة الاجتماعية التي تشكل العمود الفقري للقومية. وهم، الى حد بعيد، حاملوا [لواء] الحركة، وطبقاً لذلك فإنهم شرطٌ مسبقٌ لاغنى عنه لتطور القومية.

وكما سبق النقاش، ليس هناك تعريف للقومية مقبول عموماً في الوسط الاكاديمي رغم الاتفاق بصورة عامة على سمات مشتركة معينة للقومية، أعني بذلك الوعي او الشعور بتفرد جماعة من الناس، وخاصة من حيث التجانس العرقي او اللغوي او الديني، واشتراكهم في ذكريات تاريخية، والاحساس بان لهم مهمة او رسالة «Mission» مشتركة (٦٢). ولاجل الوصول الى تعريف مقبول بشكل عام للقومية يمكن اجمال بعض العناصر الاساسية في «نمط الفكر» القومي. اولاً يجب ان تكون هناك جماعة، «أمّة»، تكشف عن سمة مميزة. وثانياً يجب ان تكون لمصالح وقيم الأمة الاولوية على المصالح والقيم الجماعية. واخيراً يجب توفر اكبر قدر ممكن من الاستقلال على شكل سيطرة سياسية على اقليم لغرض تجسيد مصالح وقيم الأمة (٦٣). اما بخصوص الانتقال من العرقية الى القومية فان بعض المنظرين قد نظروا الى هذه الظاهرة بوصفها عملية ثقافية مستقلة بذاتها. ووفقاً لجيمس كيلاس فان هؤلاء المنظرين هم مختزلون لمصالح الثقافة، لانهم يفسرون العملية على انها تعبيرٌ واضح عن فكرة «الأمة» وعن «ايديولوجية» القومية وتقدم «الثقافة القومية» من خلال التقدم في مجال اللغة، والنشر

(**) أو المستعرق بمعنى متمركز حول العرق بوصفه غاية الغايات او الايمان بان عرقه اسمى من سائر الاعراق (المترجم).

باللغة القومية، والتعليم والتقدم في مضمار الأدب(٦٤).
يُمكن النظر الى القومية كأيدولوجية وكحركة سياسية(٦٥). وعند تصنيف الانماط المختلفة من القومية يمكن الاشارة الى صنفين رئيسين. يشمل النمط الاول منهما الافراد الذين يجمعهم اصل مشترك، ولذا فإن هذا التعريف هو حصري exclusive. اما النمط الآخر فهو القومية الاجتماعية التي تشمل افراداً لا يجمعهم بالضرورة اصل مشترك، ولذا فان هذا النمط من القومية يُعد شاملاً inclusive(٦٦). والمصطلح الآخر الذي يحتاج الى توضيح هو مصطلح «الحركة القومية». ان الحركة القومية، وفقاً لانطوني سمث، هي الاداة التي تساعد على «تحويل السكان الى امة»(٦٧). ان هذا التعريف ناقص لان الحركات القومية في حالات عديدة هي الوسيلة التي تسعى من خلالها أمة أو جماعة قومية الى تحقيق اهدافها القومية والسياسية. وهكذا فان تعريفاً اكثر شمولية للحركة القومية هو تعريف لويس سنايدر الذي يدعي بان «تلك الاقليات، التي تطمح الى استقلال ذاتي ضمن منطقة جغرافية قابلة للتحديد، يُمكن اعتبارها حركة قومية»(٦٨).

الابحاث السابقة ومادة [الدراسة]:

ان الابحاث المتعلقة بالقضية الكوردية ليست كثيرة على نحو بارز، بالرغم من ان هذا المجال يشهد تزايداً في الوقت الحاضر. ولا توجد، على حد علمي، دراسة واحدة مخصصة للقضية الكوردية خلال الفترة قيد الدراسة هنا. وعلى اية حال فان محاولتي لدراسة الكورد في السياسة الدولية ليست اول دراسة تمس الموضوع، فقد بُذلت جهود عديدة سابقاً في هذا الاتجاه.

في دراسته الموسومة «الاتحاد السوفيتي والقضية الكوردية: دراسة مشاكل الأقلية في السياسة السوفيتية» (جامعة فرجينيا - ١٩٦٥) سعى ولسن. ن. هاول الابن J.I الى بحث السياسة السوفيتية تجاه الكورد. وقد درس هاول بُعدين مختلفين نوعاً ما للسياسة السوفيتية. فقد عالج الباحث من جهة السياسة السوفيتية تجاه الكورد الذين يعيشون داخل الاتحاد السوفيتي، والذين كانوا تحت ادارة السلطات السوفيتية منذ ثورة اكتوبر. ومن جهة اخرى عالج هاول ايضاً الموقف السوفيتي تجاه الكورد القاطنين خارج اتحاد الجمهوريات

الاشتراكية السوفيتية USSR، ويترتب على هذا مسألة سياسة خارجية سوفيتية. واستنتج هاول بان الاتحاد السوفيتي قد استغل القضية الكوردية في الشرق الاوسط في سبيل الوصول الى اهدافه الخاصة في المنطقة. ومهما يكن فان دراسة السياسة الكوردية للسوفييت خلال الفترة ١٩٤١-١٩٤٧ تبدو غير كاملة اذا ما أهمل البُعد الدولي، ولذا فأن من الاهمية بمكان تتبع سياسات الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى تجاه الكورد، وهذا ماسيتم في الدراسة الحالية عبر مناقشة خلفية واصول الحرب الباردة.

ان الدراسات المتعلقة بجمهورية كوردستان الشعبية قليلة. وفي دراسة صدرت في ١٩٦٣ بعنوان «الجمهورية الكوردية في ١٩٤٦» عالج وليم ايكلتون الإبن JI. موضوع الكورد في ايران خلال النصف الأول من الاربعينات، مع التركيز على جمهورية كوردستان الشعبية بشكل خاص. ولم يرجع ايكلتون الى السجلات الدبلوماسية البريطانية ولا الامريكية، وبالتالي فان دراسته اعتمدت اساساً على ما كان بإمكان المؤلف معرفته شفهيّاً من الكورد في مهاباد والمناطق المحيطة بها ان دراسة ايكلتون، كما يعترف هو بذلك، تستند على «ذكريات ناقصة» (٦٩).

ونشر آرچي روزفلت الإبن JI. مقالة بعنوان «جمهورية مهاباد الكوردية» في مجلة الشرق الاوسط في تموز ١٩٤٧ (٧٠). وكان روزفلت واحداً من قلة من الاجانب الذين زاروا جمهورية كوردستان الشعبية.

وهذه الدراسة بمثابة مسح عام يقوم على ملاحظات المؤلف الخاصة.

وقد ناقش روزفلت جوانب عديدة من جمهورية كوردستان الشعبية، وتوصل الى ان حلم القومية الكوردية في كوردستان مستقلة قد تحقق بدرجة قليلة من خلال جمهورية كوردستان الشعبية. ويضيف ايضاً بان موضوعات الحرب العشائرية، والاميراليات والنظم الاجتماعية المتنافسة، وفروسية العصور الوسطى، والقومية المثالية، المتنافرة بشكل غريب تصور الشكل المعقد للسيناريو الكوردي خير تصوير (٧١).

وظهرت دراسات قليلة باللغة الكوردية عن جمهورية كوردستان الشعبية. فقد اصدر محمود ملا عزت في ١٩٨٦ عملاً بعنوان «كوماري ملّي مهاباد - جمهورية مهاباد الشعبية». وقدمت دراسة اخرى من قبل كريم حسامي بعنوان «كوماري ديموكراتي كوردستان يا خود

مُختاري - جمهورية كوردستان الديمقراطي او الحكم الذاتي» في عام ١٩٨٦ ايضاً. ومع ان هاتين الدراستين على صلة وثيقة بالموضوع الى درجة معينة، الا ان أياً من المؤلفين لم يأخذ في الحسبان بشكل منهجي الظرف الدولي الذي ظهرت فيه جمهورية كوردستان الشعبية. وفضلاً عن ذلك فان أياً منهما لم يعتمد على سجلات دبلوماسية بريطانية أو امريكية. كما اهمل المؤلفان الارتباط الذي يجب ان يستنتج بين اصول الحرب الباردة في الشرق الاوسط وبين ظهور وسقوط الجمهورية الكوردية القصيرة الاجل.

وقدمت فريدة كوهي - كمالى دهكوردى رسالة ماجستير غير منشورة الى جامعة اوكسفورد في عام ١٩٨٦ بعنوان «جمهورية كوردستان: قيامها وسقوطها». وتعالج رسالة دهكوردى تاريخ الكورد في ايران في ١٩٤٦ حصراً، وتُركز على ولادة وزوال جمهورية كوردستان الشعبية. اما الاستنتاج الرئيسي الذي توصلت اليه دهكوردى فهو ان جمهورية كوردستان الشعبية كانت ظاهرة تحققت قبل أوانها^(٧٢). وبان العوامل الاساسية التي جعلت تأسيس جمهورية كوردستان الشعبية امراً مُمكناً هي وجود القوات الاجنبية في ايران، وضعف الحكومة المركزية، وتأسيس جمهورية اذربيجان، والتأكيدات السوقيتية بتقديم الدعم للكورد. وهي تجزم بان ظهور جمهورية كوردستان الشعبية لم يكن النتيجة المنطقية للظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الفعلية في كوردستان^(٧٣). وبان دور القوى الغربية ودور الاتحاد السوقيتي كان ذا علاقة وثيقة، وبدرجات متفاوتة، بسقوط الجمهورية.

ان دراسة دهكوردى قيّمة، ولكنها اخفقت في وضع التطورات المتعلقة بالقضية الكوردية في ايران ضمن اطارها التاريخي الاوسع. ومن نقائص الدراسة ايضاً قلة استخدام المصادر الأولية. ان المادة التاريخية التي استخدمت بشكل محدود من قبل دهكوردى هي وثائق وزارة الخارجية البريطانية المحفوظة في دائرة السجلات العامة.

وقدم الايرانيون عدداً من الاعمال والمذكرات عقب سقوط جمهورية كوردستان الشعبية. واهم تلك الاعمال هي كتابي نجف قُلي بسيان، وقد صدر الاول في عام ١٩٤٨ بعنوان «مرك بود بزكاشت هم بود - كان هناك دمٌ وتقهر» وصدر الثاني في عام ١٩٤٩ بعنوان «آز مهابادى خونين تاكيرانهاى آراس من مهاباد الملطخة بالدم الى ضفاف آراس». ويجب مناقشة مدى دقة هذه الروايات لان المؤلف كان مراسلاً لجريدة رسمية للحكومة الايرانية، هي «اطلاعات»، ولان

كلا الكتابين نُشرا في عهد الشاه. وكتب ابو الحسن تفريشيان، الذي كان ضابطاً في جيش جمهورية اذربيجان المستقلة ذاتياً واشترك في الاحداث الدراماتيكية المرتبطة بأنهيـار جمهورية كوردستان الشعبية، كتاباً بعنوان «قيامى أفسراني خراسان - انتفاضة ضباط خراسان» في عام ١٩٧٦. ويقدم الكتاب بعض المعلومات المثيرة للاهتمام عن الايام الأخيرة لجمهورية كوردستان الشعبية».

وقُدمت دراسات عديدة عن الأزمة الإيرانية في ١٩٤٥-١٩٤٦ وسياسة القوى العظمى تجاه إيران. وتتناول هذه الاعمال بصورة رئيسية الفترة التي أعقبت الغزو الانكلو - سوفيتي لإيران، والسنوات التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرةً. ففي سياق تركيزه على تطور العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران كرّس كيفان طبري اطروحة الدكتوراه، التي قدمها الى جامعة كولومبيا في عام ١٩٦٧ بعنوان «سياسات إيران تجاه الولايات المتحدة الأمريكية إبان الاحتلال الانكلو - روسي ١٩٤١-١٩٤٦»، لتتبع اصول العلاقات الإيرانية - الأمريكية. ويستنتج طبري بان طبيعة العلاقات الإيرانية - الأمريكية قد تشكلت خلال الفترة ١٩٤١-١٩٤٦. ويحمل المؤلف ايضاً دور الامم المتحدة في الحفاظ على استقلال إيران ووحدة اراضيها ضد التهديد السوفيتي في ١٩٤٥-١٩٤٦^(٧٤). ومع ان طبري يُشير الى ان احدي نقاط الانطلاق المهمة في دراسته هي سياسات إيران الداخلية، الا ان المؤلف خصص حيزاً محدوداً جداً للمشكلة الكوردية في إيران خلال الفترة قيد الدراسة. لقد كان الكورد في إيران جزءاً حاسماً من السياسة الداخلية الإيرانية، وكانوا مرتبطين بالسياسات التي اتخذتها الحكومة المركزية الإيرانية تجاه القوى العظمى حينئذٍ.

وفي اطروحة الدكتوراه المقدمة الى جامعة انديانا في عام ١٩٥٨ بعنوان «الاتحاد السوفيتي وحركة تأسيس الحكم الذاتي في اذربيجان الإيرانية» تتبع منوچهر فاهدات السياسة السوفيتية في إيران بعد الاحتلال الانكلو - سوفيتي، مع التشديد على الاهداف السوفيتية في تأسيس حكومة مستقلة ذاتياً في اذربيجان الإيرانية. ويُخصص پول إيلوود ثلاثة من الفصول السبعة التي تتألف منها اطروحته الموسومة «الاستراتيجية السوفيتية في إيران ١٩٤١-١٩٥٧» والمقدمة الى الجامعة الأمريكية في ١٩٥٨، يخصصها للسنوات ١٩٤١-١٩٤٧. وقد خصص القسم الرئيسي منها للرابطة او العلاقة الإيرانية - الازربيجانية. ومع ذلك فان الكورد في

ايران يردون فقط على هامش التطورات.

وقدمت اطروحة دكتوراه اخرى من قبل لويس ليسترانج فاوسيت الى جامعة اوكسفورد في عام ١٩٨٨ بعنوان «الصراع من اجل بلاد فارس: أزمة اذربيجان ١٩٤٦». وقد زعمت فاوسيت بان أزمة اذربيجان عام ١٩٤٦ كانت الحدث الرئيسي في التاريخ الايراني الحديث، حدثٌ كانت له مضاعفات هائلة على ايران، سواءً في تطورها السياسي الداخلي، أو في علاقاتها الدولية. وبان أزمة اذربيجان في ١٩٤٦ تحظى بأهمية كبيرة لتطور العلاقات الدولية في عهد ما بعد الحرب. وعلى غرار دراسات ويفر(*) وقاهدات وطبري السابقة الذكر، يتناول فاوسيت المشكلة الكوردية بوصفها عنصراً هامشياً تقريباً في أزمة اذربيجان (أو الأزمة الايرانية) في عام ١٩٤٦ (٧٥).

ان المادة [التاريخية] الاساسية التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة تقع في صنفين هما:

١- المحاضر الدبلوماسية، اعني ملفات وزارة الخارجية الأمريكية، التي يرمز اليها اختصاراً بـ(DSDF)، والمحفوظة في دار الوثائق القومية (NA) للولايات المتحدة الأمريكية في واشنطن، العاصمة (Washington DC). وكذلك المادة الدبلوماسية المنشورة في مجلدات «العلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية» والتي يُرمز لها اختصاراً بـ«FRUS».

٢- [وثائق] وزارة الخارجية البريطانية (FO) المحفوظة في دائرة السجلات العامة (PRO) في لندن. وهذه المادة الاساسية لا غنى عنها بالنسبة لهذه الدراسة، الا ان لها، على اية حال، تحدياتها.

وعلى المرء ان يكون حذراً عندما يعمل مع المادة المذكورة اعلاه. وما من شك في ان هذه المادة تعكس وجهات نظر الموظفين الذين كانت لهم، على مستويات مختلفة، صلة بالاحداث ويصنع السياسة Policy Making. اما المحاضر الرسمية الايرانية التي تخص الفترة قيد الدراسة فلا يمكن الوصول اليها.

ويجب اخذ حقيقة مهمة بنظر الاعتبار عند دراسة السياسة السوفيتية في ايران وموقفها ازاء الكورد وهي عدم امكانية الوصول الى المصادر السوفيتية الاساسية حتى الآن، وهذه عقبة واضحة عند دراسة السياسة السوفيتية. ومع ذلك فأن من الممكن دراسة السياسة السوفيتية وذلك من خلال اعادة تركيب [الاحداث]، والاستخدام النقدي للمادة الوثائقية الأمريكية

والبريطانية، والمادة الكوردية، اضافة الى المادة الثانوية. ومن غير المحتمل ان تتأثر النتائج التي تم التوصل اليها في هذه الدراسة حول السياسة السوفيتية بعمق بدراسة المادة الاساسية السوفيتية مستقبلاً.

ونظراً لغياب حالة الدولة الكوردية، ليست هناك ارشيفات او محاضر دبلوماسية كوردية. وتترتب على الافتقار الى مثل هذه المحاضر عقبة في سبيل دراسة الكورد في اطار العلاقات الدولية.

والحقيقة ان سلطات الدول التي يقيم فيها الكورد سعت جاهدةً من اجل طمس تاريخ الكورد. وبالإضافة الى ذلك ليس من الممكن الوصول الى وثائق تلك الدول، لا سيما تلك التي تتعلق بالقضية الكوردية منها.

لقد صدرت مجلتان/ صحيفتان Journals/ News papers كورديتان بين عامي ١٩٤٣-١٩٤٦، وهما ذات اهمية خاصة لبحثنا. الاولى هي «نيشتمان»، لسان حال منظمة «كومله» الكوردية، وقد صدرت خلال الفترة نيسان ١٩٤٣- تموز ١٩٤٤. والثانية «كوردستان» لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وقد صدرت كمجلة اولاً في ٦ كانون الاول ١٩٤٥، ثم كصحيفة في ١١ كانون الثاني ١٩٤٦. وكانت صحيفة كوردستان، من الناحية العملية، بمثابة ناطق رسمي بأسم حكومة جمهورية كوردستان الشعبية، اذ لم تكن لتلك الحكومة صحيفة رسمية. ان مجموعة من وثائق ورسائل عام ١٩٤٦ قد نشرت من قبل محمود ملا عزت، وتحمل المجموعة عنوان «دولتي جمهوري كوردستان: نامه و دو كيومنت - حكومة جمهورية كوردستان: رسائل ووثائق». وقد نشرت هذه المجموعة في عام ١٩٩٢، وقد استخدمت بشكل عام في هذه الدراسة.

الفصل الثاني

الكورد: خلفية عامة

- الكورد وكوردستان.

- الكورد في الامبراطورية العثمانية.

- القومية الكوردية.

الكورد وكوردستان:

عاش الكورد منذ عدة الاف من السنين على ما عُرِف، على أسسٍ عرقيةٍ، باسم كوردستان. وغالباً ما تُرجع اصول اسلافهم الى الميديين، وهم مجموعة قبلية تحركت من آسيا الوسطى الى الهضبة الايرانية في نهاية الألفية الثانية ق. م. وقد صار الميديون قوة عظمى في ٦١٢ ق.م، وامتدت امبراطوريتهم على رقعة واسعة قبل انهيارها في ٥٥٠ ق.م^(١).

وردت اشارات الى وجود شعب بأسم «كارداكا» أو «كورتى» أو «گوتى» في نقوش سومرية مؤرخة في ٢٠٠٠ ق.م، وفي نقوش اشورية من القرن الحادي عشر ق.م^(٢). وفي كتاب «Anabassis»^(*) الذي يعود الى عام ٤٠١ ق.م يذكر المؤرخ الاغريقي زينوفون شعب «كاردوخى» او «كاردوكاي» الذين انهكوا حملة «العشرة الاف اغريقي» المشهورة عندما كانت تسير من بلاد ما بين النهرين الى البحر الاسود^(٣). ويعتقد العديد من الباحثين ان الكورد خليطٌ من جماعات مختلفة تضم كُلاً أو قسمٌ مما يأتي: الكاشيين، المانيين، الكوتى، الميديين وكاردوخوي (كاردوخى)^(٤). وظهرت كلمة كورد بصيغتها الحديثة اولاً في مصادر

(*) اي «حملة العشرة الآف» او الحملة على بلاد فارس للمؤرخ الاغريقي زينوفون. (المترجم).

عربية من القرن التاسع الميلادي بصيغة الجمع «اكراد»^(٥). ويبدو ان الكورد ينحدرون من جماعات قديمة مختلفة بضمنها الشعوب القوقازية في الشمال والشعوب التي سكنت اصلاً في الاقاليم الجبلية الى الغرب من قزوین منذ الأزمنة. ويقع الجزء الوسطي لهذه الاقاليم على جانبي سلسلة جبال زاغروس ويمتد جنوباً وغرباً من خلال الاناضول السفلى الى المنطقة الجبلية في شمال العراق وسوريا^(٦).

تنتمي اللغة الكوردية الى الاسرة الهندو - أوربية وهي جزء من مجموعة اللغات الايرانية. وبالرغم من ذلك فان اللغة الكوردية هي لغة منفصلة من حيث جذورها وصيغها^(٧). وتقع اللهجات الكوردية ضمن مجموعتين رئيسيتين، الشمالية وتدعى كرمانجي، والجنوبية وتدعى سوراني^(٨). وعلى اية حال هناك عدد كبير من اللهجات المختلفة التي يمكن تصنيفها، وفقاً لمارتن فون بروينسين، الى المجموعات الفرعية التالية:

١- اللهجات الشمالية والشمالية الغربية او كرمانجي.

٢- اللهجات الجنوبية التي تُدعى كرمانجي الجنوبية او سوراني.

٣- اللهجات الجنوبية الشرقية، سيني Sinei وكرمنشاهي وليكي Leki^(٩).

لقد طورت اللهجة السورانية اللغة الكوردية المكتوبة مستخدمة كتابة عربية معدلة، وقد كُتِبَ معظم الادب الكوردي بالسورانية.

لقد استخدم الكورد في العراق وايران الحروف العربية، وفي تركيا الحروف الرومانية، وفي الاتحاد السوفيتي السابق الحروف السيريلية Cyrillic^(١٠).

كانت مسألة اللغة شاغلاً مهماً لأغلبية القوميين الكورد الذين اكدوا على اهمية خلق لغة مشتركة مُقننة. ويعترف الكورد بأن [اللغة] الكوردية دور قوي في كفاحهم من اجل الحقوق القومية والاعتراف بهم كأمة. ان اللغة الكوردية هي اثبات ورمز الهوية الكوردية المميزة^(١١). وتعي حكومات الاقطار التي اقتسمت كوردستان كذلك اهمية اللغة الكوردية بالنسبة للهوية الكوردية، ولذا فانها إما منعت او لم تشجع استخدام اللغة الكوردية، باستثناء العراق الذي كانت حكوماته تقليدياً متسامحة قليلاً ازاء استخدام اللغة الكوردية في المدارس والحياة العامة.

ان تعدد اللهجات في اللسان الكوردي، والسياسات التي استهدفت استيعاب الكورد

اشتركت سويةً في اعاقه تطور لغة اتصال مشتركة «LINGUA FRANCA» (١٢). وان استخدام أبجديات متعددة في مختلف اجزاء المناطق التي يتكلم سكانها الكوردية كان له تأثير سلبي علي عملية تحديد الهوية (١٣). ان انقسام اللغة الكوردية الى لهجات عديدة قد تأثر بالافتقار الى المواصلات في كوردستان، والتي هي، منطقة جبال عالية. وفضلاً عن ذلك فان الكورد لم يتمتعوا ابداً بوحدة سياسية ربما كانت تجعل [ظهور] أدب مشترك امراً ممكناً (١٤). ان تقسيم كوردستان بين عددٍ من الاقطار، وتأثيرات اللغات السائدة للشعوب المجاورة، والفرص المحدودة امام الكورد لترقية لغتهم، هي عوامل اخرى منعت تطور لغة اتصال مشتركة قياسية. وقد جرت محاولات عديدة لتطوير نموذج منفرد من اللغة الكوردية، ولكنها كانت بلا جدوى (١٥).

* * *

من الصعب اعطاء تقدير مضبوط عن [عدد] الكورد. وقد قدم باحثون مختلفون أرقاماً مختلفة. ان مهرداد إيزادي يُحمل تقديره العام للسكان الكورد في الجدول التالي (١٦).
جدول رقم (١): السكان الكورد عام ١٩٩٠

الدولة	عدد السكان الكلي (بالملايين)	العدد الكلي للكورد (بالملايين)	نسبة الكورد الى عدد السكان الكلي
تركيا	٥٦.٧	١٣.٧	٢٤.١٪
ايران	٥٥.٦	٦.٦	١٢.٤٪
العراق	١٨.٨	٤.٤	٢٣.٥٪
سوريا	١٢.٦	١.٣	٩.٢٪
اقطار اخرى		٠.٣	
المجموع		٢٦.٣	

المصدر: IZADY,1992,P.119.

وعلى اية حال يجب على المرء ان يأخذ في الحسبان العدد الكبير نسبياً من الكورد الذين يعيشون في لبنان، وفي المنفى في بلدان أخرى، في الغرب بشكل رئيسي (١٧).
وفضلاً عما تقدم من الصعب التأكد من الرقم الدقيق لعدد الكورد بسبب قلة الاحصاءات وعدم كفايتها، والتقليل المتعمد للعدد من قبل الحكومات المركزية، وحتى ان المشكلة اكثر تعقيداً في تركيا حيث مُنع استخدام اللغة الكوردية منذ عام ١٩٢٤ (١٨). كان الكورد في تركيا يوصفون رسمياً، حتى بداية ١٩٩٠، بـ«اتراك الجبال».
ان بعض القوميين الكورد يميلون الى المبالغة في تقدير عدد الكورد في محاولة لتوكيد الالهية السياسية للكورد، في حين ان انظمة الاقطار التي يسكن فيها الكورد تميل الى التقليل من عددهم (١٩). لقد كان عدد الكورد الذين يعيشون في ايران في بداية الاربعينات في حدود ١.٧٠٠.٠٠٠ نسمة، وفي العراق في حدود ٩٠٠.٠٠٠ نسمة، وفي تركيا في حدود ٣.٤٠٠.٠٠٠ نسمة، وفي سوريا ٢٦٠.٠٠٠ نسمة (٢٠).

ان الاسلام هو الدين الرئيسي بين الكورد، والاغلبية منهم مسلمون على المذهب السني (٢١). ومع ذلك فان معظم الكورد في كرمنشاہ ومنطقة خانقين على المذهب الشيعي، وهناك كوردٌ علويون في تركيا. والجماعات غير الاسلامية الرئيسية بين الكورد هم الايزديون (٢٢).

لقد اعتنق الكورد الاسلام خلال القرون ٧-٩م، وقبل ذلك كان القسم الاكبر منهم قد شايعوا الزرادشتية، وهي دينٌ يعد النار رمزاً للنقاء (٢٣).
من وجهة النظر الثقافية كان الاسلام، من بعض النواحي، عاملاً غير مؤاتٍ لتطور الهوية القومية الكوردية لان الحكومات المركزية في تركيا وايران والعراق وسوريا تعترف بالاسلام ديناً رسمياً للدولة (*).

ولهذا صار اكثر صعوبة بالنسبة للكورد توكيد الهوية الكوردية المميزة.

(*) الواقع ان هذا لاينطبق على الجمهورية التركية التي تبنت النظام العلماني، وألغت، منذ عام ١٩٢٨، المادة التي تنص على ان الاسلام هو الدين الرسمي للدولة من الدستور. (المترجم)

وقد لاحظ احد الباحثين انه بعد تأسيس الجمهورية الاسلامية في ايران اصبحت الوحدة الاسلامية تعمل كقناة للتبادل الثقافي.

وبالنسبة لاية الله خميني كانت القومية العرقية، والصراعات التي تعود جذورها الى الاختلافات العرقية، قضايا ثانوية ستتبدد بعد تحقيق هدف الوحدة الاسلامية الاعظم (٢٤). ومن جهة أخرى، ونظراً لحقيقة ان الاغلبية المطلقة من الكورد مسلمين، فان الدين يعمل ليس كعامل إنقسام، ولكن بالاحرى كعامل مُوحد (٢٥).

* * *

من الصعب تحديد طبيعة التنظيم الاجتماعي والسياسي لدى الكورد (٢٦). ان بعض المراقبين وصفوا شكل التنظيم بأنه عشائري (٢٧). وعلى اية حال فان هذا الوصف يقدم نظرة مفرطة في التبسيط الى الكورد. ورغم حقيقة ان البنية العشائرية هي السائدة في الاقسام الريفية، لاسيما في المناطق البعيدة والمنعزلة، (٢٨)، الا ان هناك نسبة معتبرة من السكان الحضريين لكورد. ان اكثر من ٣٥٪ من الكورد يسكنون في المدن والقصبات، مع ان الرقم كان حوالي ١٣٪ فقط في الاربعينات (٢٩).

وخلافاً لانطباع العديد من المراقبين يُشكل الرُحل أو البدو Nomads اقلية صغيرة من الكورد (٣٠). ان عملية الانتقال من المجمع العشائري الى المجمع الحضري «Detribalization» تتطور منذ أمد بعيد في كوردستان، وتعود جذور هذه الظاهرة الى عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية متعددة. ان التنظيم العشائري بين الكورد قد تحلل تدريجياً مع تراجع اسلوب الحياة شبه البدوية Semi-nomadic والرعية (٣١).

ان عملية التحضر Urbanization بين الكورد كانت مهمة لتطور الهوية الكوردية والوعي القومي. وقد ادت العملية ايضاً الى تطور عقائد اجتماعية جديدة اصلاحية او راديكالية، في حين ان النظام التقليدي ذو الهيمنة العشائرية كان يتسم بالقدم والتخلف. لايزال الباحثون يرون بان الكثير من الحياة الكوردية، حتى في السنوات الاخيرة، قد نُظِم حول العشيرة. وزعم نريمان يلدا ان الفلاحين الكورد ليس لديهم لا التطور الاقتصادي ولا اسلوب المواصلات المتقدمة اللازمة لتغيير النماذج التقليدية للعمل او الولاء الاجتماعي (٣٢).

ان الخُطى البطيئة للتطور الاقتصادي في كوردستان تُعزى في الغالب الى حقيقة ان الحكومات المركزية في تركيا والعراق وسوريا وايران قد استثمرت، عن قصد، القليل من رأس المال في المناطق الكوردية(٣٣). ان مهرداد ايزادي، رابطاً هذه المناقشة بمسألة ولاء الافراد الكورد للنُخب القومية، أكد على ان قادة البطون العشائرية القائمة على القرابة العائلية -Family Clan مايزالون يتمتعون بالولاء الاقوى(٣٤).

* * *

قُسمت كوردستان بين اربع دول شرق اوسطية، اي تركيا وايران والعراق وسوريا، وجمهورية اذربيجان وارمينيا السوفيتية سابقاً(٣٥). وتوصف كوردستان بأنها على هيئة قوس يمتد من جبل آارات في الشمال الشرقي متجهاً جنوباً الى الجزء الجنوبي من [جبال] زاغروس وبشتكوه في ايران، ومن ثم يمكن رسم الخط نحو الغرب الى الموصل في العراق، مستمراً الى ميناء اسكندرونه التركي، وعند هذه النقطة تمتد الأرض في الاتجاه الشمالي الشرقي الى ارضروم في تركيا، ومن ارضروم شرقاً الى جبل آارات(٣٦). وتمتد الاقاليم الكوردية الى داخل ارمينيا واذربيجان ايضاً(٣٧). وحسب معطيات هذا المخطط الجغرافي من الواضح انه ليس لكوردستان حدودها القانونية او المعترف بها دولياً.

ان التطورات على مدى القرون ادت الى ازدياد التنوع الاجتماعي والثقافي في مختلف انحاء كوردستان، وكان لهذا الامر اهميته بالنسبة لحالة التجزئة Fragmentation بين الكورد. وعلى سبيل المثال، نظراً لان الكورد يقيمون عند مناطق حدود الدول المذكورة فأنهم غالباً ماكانوا ينهمكون في النزاعات السياسية والعسكرية لهذه الدول، كما خضعوا لسياسة الاستيعاب والدمج القسري. ومع ذلك يبقى الكورد، على حد تعبير مهرداد ايزادي شعباً مفعماً بالحياة يقاوم بثبات [سياسات] الاستيعاب والازالة(٣٨).

يقع الجزء الرئيس من المناطق الكوردية ضمن تركيا ويشمل ١٧ ولاية تقع كلها في الاقسام الشرقية والجنوبية الشرقية من ذلك البلد. وفي سوريا يعيش اغلبية الكورد في القسم الشمالي والشمالي الشرقي من ذلك البلد ويتركزون بشكل رئيس في بلدة القامشلي والتي تعمل بمثابة نقطة بؤرية للنشاطات الكوردية في سوريا. ويقوم كورد آخرون في محافظة حلب

وفي جبل الاكراد حيث تشكل بلدة عفرين مركزاً كوردياً مهماً (٣٩) . اما في الاتحاد السوفيتي السابق فأن الكورد موجودون بشكل رئيسي في ارمينيا واذربيجان. وفي العراق يقيم الكورد بشكل رئيس في المحافظات الاربع، السليمانية وأربيل وكركوك ودهوك. كما يشكل الكورد غالبية سكان مدن خانقين ومندلي وسنجار. وهناك تجمعات كوردية معتبرة في بضعة مدن عراقية اخرى.

وفي ايران ينتشر الكورد في اربعة مقاطعات ايرانية، وهي اذربيجان الغربية وسندج (تسمى رسمياً كوردستان) وكرمنشاه وعيلام (٤٠). ومن وجهة النظر الجغرافية، فأن حدود كوردستان واقعة على حدود الامبراطوريات، كالامبراطوريات البيزنطية والعثمانية والفارسية. وقد فصلت الفتوحات البريطانية والفرنسية اثناء الحرب العالمية الاولى سوريا والعراق عن الامبراطورية العثمانية. وقد تركت عملية رسم الحدود اللاحقة فيما بين الدول [الحديثة] كوردستان مُقسمة الى خمسة اجزاء.

ان قرب كوردستان من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، مقروناً بحقيقة ان الاقاليم الكوردية تشكل منطقة واسعة وحيوية استراتيجياً في اربعة من اقطار الشرق الاوسط، جعل كوردستان موضع اهتمام العديد من القوى العظمى في وقتنا هذا. ان وجود النفط الخام في كوردستان قد لفت اهتمام شركات النفط العالمية. وقد استُغلت مكامن نفطية رئيسية في كركوك وخانقين في كوردستان العراقية، وفي كرمينشاه في كوردستان الايرانية، وفي سيرت في كوردستان تركيا (٤١).

الكورد في الامبراطورية العثمانية:

ثمة اتفاق عام بان التاريخ الكوردي الحديث قد بدأ مع ظهور الامبراطورية العثمانية. فمنذ بزوغ فجر هذه الامبراطورية كان الكورد مدركين لاهميتهم السياسية في الحرب المتواصلة بين الامبراطورية الصفوية (الفارسية) وبين العثمانيين (٤٢). وقد ظهرت الامبراطورية الصفوية في مستهل القرن السادس عشر ونافست العثمانيين على النفوذ والسيطرة على المناطق الكوردية. وهكذا كان الكورد عنصراً اساسياً في هذا النزاع. وبتعبير جغرا - سياسي (جيوبولتيكي)

اصبحت كوردستان ميدان معركة، ومع ذلك كانت تعمل أحياناً كمنطقة عازلة Buffer Zone بين القوتين. ان هذه الحقيقة جعلت الكورد مدركين لاهمية دورهم في الحوادث التاريخية. وسبق وان اقام الكورد ايضاً امارات شبه مستقلة^(٤٣)، والتي حظيت فيما بعد بأعتراف السلاطين العثمانيين بموجب ترتيب منطقة أمنية وسياسية وعسكرية محددة «Cordon Sanitaire» أقامه أمير كوردي من بدليس^(٤٤). وقد ازدهرت العديد من هذه الامارات واستمرت حتى القرن التاسع عشر. وفي ضمانهم الوضع شبه المستقل للامارات الكوردية كان العثمانيون، على اكثر احتمال، يسعون الى تقوية هذه الامارات كمنطق عازلة بين الامبراطوريتين العثمانية والصفوية. وفضلاً عن ذلك كان بإمكان الامارات تولي أمر القيام باعباءٍ معينة، وبشكل رئيس جمع الضرائب والدفاع عن مناطقها. ان شكل الحدود الحالية (بين تركيا والعراق وايران) قد تم تحديده بتسوية بين الامبراطوريتين [العثمانية والصفوية] في عام ١٦٢٩. وهكذا قسمت كوردستان لأول مرة الى قسمين.

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر سعى السلاطين العثمانيون جاهدين لمركزة Centralize صنع [القرار] السياسي الى درجة اكبر من اياما وقت مضى. وقد جابهت الامارات الكوردية هذا الاجراء بمعارضة شديدة^(٤٥). وحاول امير سوران الكوردي، المعروف بمحمد باشا الراوندوزي، توحيد جزء كبير من كوردستان في ثلاثينات القرن التاسع عشر إلا انه دُحر من قبل جيش السلطان العثماني^(٤٦). وعلى غرار ذلك هُزمت الامارات الكوردية الباقية.

القومية الكوردية:

يرتبط تطور القومية - العرقية بدرجة كبيرة بوجود عناصر، مشتركة هي اللغة، والجنس Race، والدين والتجربة التاريخية^(٤٧). ومن خلال لغتهم الخاصة بهم، والانتساب العرقي، والاحاسيس والقيم المشتركة، والتجربة التاريخية المشتركة، يُشكل الكورد جماعة عرقية متجانسة الى حد بعيد. ويمكن القول ان الكورد يكونون امة واحدة موجودة في موطنها الحالي منذ نحو ٣٠٠٠ عام، معمرين بذلك اكثر من الكيانات الامبراطورية الاشورية، والفارسية،

والاغريقية، والرومانية، والعربية، والمغولية، والتركية(٤٨).

يختلف الباحثون بشدة حول الوقت التقريبي والظروف التي ظهرت فيها القومية الكوردية. فقد اكد العديد منهم بأنها ظهرت اولاً في اربعينات القرن التاسع عشر(٤٩). لقد قاد بدرخان انتفاضة ضد العثمانيين بين عامي ١٨٤٣-١٨٤٧، وقد إدُعي لاحقاً بان هذه الثورة كانت قومية بالمعنى الحديث(٥٠)، وبأنها كانت مؤشراً على ولادة حركة سياسية كان هدفها اقامة دولة قومية كوردية تشمل كل كوردستان(٥١).

صحيح ان الانتفاضات الكوردية في القرن التاسع عشر، لا سيما تلك التي قادها بدرخان في ١٨٤٣-١٨٤٧ والشيخ عبيد الله النهري في ١٨٨٠-١٨٨١، كانت تتضمن مكونات مهدت السبيل للقومية الكوردية. ومع ذلك فان مدى هذه الثورات إقتصر، بدرجة كبيرة، على شؤون محلية تتضمن فقط مطالب محدودة للاصلاحات الادارية، مثل استثناء الكورد من الضرائب والتجنيد، ومطالب ثقافية مبهمة، والسماح بحكم ذاتي محلي(*) من قبل الموظفين الكورد.

وعلاوة على ذلك، فان قيادة هذه الثورات كانت بيد قادة دينيين او عشائريين، والذين استغلوا عن قصد المشاعر القومية بين الكورد في سبيل مصالحهم الشخصية الذاتية، أو لضمان ماكانوا يعتبرونه مصالح عشائريهم(٥٢). ويؤكد سي. جي. ادموندز ان القومية غالباً ما استخدمت كغطاءٍ لطموحات قادة معينين، أو عدم تحمل ابناء العشائر لاي شكل من النظام والادارة(٥٣). لقد تضمنت الانتفاضات الكوردية في القرن التاسع عشر عناصر من طبقات اجتماعية متباينة يسعى كل منهم الى مصالح مختلفة، وغالباً ما تكون متضاربة. ان هذا قد يرجع الى حقيقة ان النزاعات العرقية لها قدرة اكبر على تعبئة اناس مختلفين بوجود قاسم مشترك واحد في الاقل(٥٤).

ووفقاً لمدرسة فكرية اخرى، فان القومية الكوردية بدأت تأخذ شكلاً في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين(٥٥).

(*) أو سلطة ذاتية في الشؤون المحلية. Self- rule

ففي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت اول صحيفة كوردية، وكانت تحمل اسم كوردستان^(٥٦). وقد صدرت في القاهرة اولاً وهاجمت سياسة الامبراطورية العثمانية تجاه الكورد. وكان للصحيفة اهتمام خاص ايضاً بالادب الكوردي، وقد فعلت الكثير لتعزيز فكرة الاستقلال الكوردي^(٥٧).

ومهما يكن فان فأن تأسيس الكورد صحيفة خاصة بهم جاء متأخراً تماماً مقارنةً بجماعات قومية - عرقية اخرى تعيش في الامبراطورية العثمانية.

ويجب ملاحظة الاصداء الايجابية للثورة الدستورية التركية (ثورة الشبان الاتراك) التي قادتها جمعية الاتحاد والترقي التركية في عام ١٩٠٨. فقد كان تأثير الثورة على الاقليات القومية في الامبراطورية العثمانية واضحاً^(٥٨).

وقد اعلن الشبان الاتراك بأنه يجب ضمان المساواة لكل الاقليات القومية. وعقب وصولهم الى السلطة ظهرت حركة سياسية بين الاقليات تهدف الى تأسيس تنظيمات قومية خاصة بهم. وفي هذا المناخ السياسي الجديد شكل الكورد تنظيماتهم الخاصة بهم^(٥٩)، كما تأسست جمعيات ادبية كوردية، وصدرت دوريات ومنتخبات ادبية... الخ.

ان هذا المناخ السياسي، الذي كانت له آثار جلية على تطور القومية الكوردية الحديثة، لم يستمر طويلاً. فقد بدأ الشبان الاتراك، خلافاً لوعودهم، بأنتهاج سياسة التتريك^(٦٠).

ان اهمية هذه التطورات تمثلت في ان المثقفين والعناصر الحضرية الكوردية اصبحوا قادرين، لأول مرة، على التأثير في قيادة الحركة القومية الكوردية. ان النواة الصغيرة من المتعلمين الكورد، الذين تأثروا بالقومية نتيجة التأثيرات الغربية في المناطق الحضرية من الشرق الاوسط، بدأت تشق طريقها.

قدم الرئيس الامريكي وودرو ولسن خلال الحرب العالمية الاولى نقاطه الاربع عشرة والتي بموجبها تكون للشعوب حق تقرير مصيرها بحرية^(٦١). واقترح رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج بان مؤتمر السلام بعد الحرب يجب ان يبحث رغبات ومصالح سكان المستعمرات الوطنيين، وبأن حق تقرير المصير قابل للتطبيق على هذه الجماعات^(٦٢). وكانت نقاط الرئيس ولسن الاربع عشرة موضع ترحيب من قبل الاقليات القومية في الامبراطورية العثمانية، وبضمنهم الكورد. وكانت النقاط (٥) و(١٢) ذات اهمية خاصة بالنسبة لهم. فقد تحدثت

النقطة (٥) عن التسوية العادلة والمجدبة لكل الصراعات حول المستعمرات، ونصت المادة (١٢) على وجوب ضمان الفرصة للاقليات في الامبراطورية العثمانية لتطوير الاستقلال الذاتي (٦٣).

ان تمزيق اوصال الامبراطورية العثمانية خلق، مؤقتاً، فراغ قوة شجع طموحات الاقليات القومية. وقد اعقب تفكك [الامبراطورية العثمانية] تسوية سلمية تضمنت محاولات لايجاد حلول لمشاكل الاقليات في الامبراطورية الممزقة الاوصال (٦٤). وعلى اية حال فإن تأثير تفكك الامبراطورية العثمانية كان متفاوتاً بالنسبة للعرب والأرمن والكورد (٦٥). وكان تفكك الامبراطورية العثمانية عاملاً مهماً في تطور الهويات القومية - العرقية للاقليات العرقية في الامبراطورية العثمانية السابقة، اذ اصبحت هناك الآن هويات قومية جديدة (٦٦). فلم يعد الناس «عثمانيون» بل تركُّ وعربُّ وأرمنُّ وكوردُّ... الخ. وشهدت فترة مابعد الحرب العالمية الاولى تطور العديد من الحركات القومية للاقليات في الامبراطوريتين السابقتين، النمساوية - الهنغارية والعثمانية. وفي الشرق الاوسط تأثرت الاقليات سلبياً بظهور عددٍ من الدول الجديدة التي انحصرت فيها تركة الحدود التي رُسمت عبر اقاليم الامبراطوريتين المتفككتين. وقد تبعثت الاقليات الدينية والعرقية والعشائر بين كيانات سياسية متعددة، وكان هذا التطور عاملاً من العوامل الكامنة وراء قيام الحركات القومية (٦٧). وفي هذا السياق، وكما استنتج نادر انتصار، توافق تسييس العرقية الكوردية زمنياً مع قيام نظام الدولة الحديثة في الشرق الاوسط (٦٨).

ويُشدد الباحثون على الدور الذي لعبته النخبة الكوردية، اي المتعلمين من سكان المدن، في تطور القومية الكوردية (٦٩). ان هذه النخبة، كما يُشير عمر شيخ موسى، نمت بسرعة ابتداءً من الحرب العالمية الثانية في ايران والعراق وتركيا وسوريا نتيجة للتحويلات الاجتماعية - الاقتصادية في هذه الاقطار (٧٠). ومهما كان دور المتعلمين والمثقفين مهماً فإن النخب التقليدية لعبت ايضاً دوراً ذا شأن في تطور القومية الكوردية. ان النخبة الكوردية المسؤولة عن انتشار الافكار القومية وتعبئة الناس في حركات قومية ليست شريحة المثقفين والمتعلمين فقط، بل ان النخبة التقليدية لعبت ايضاً دوراً حاسماً في تطور القومية الكوردية (٧١).

* * *

اتصل بعض القادة الكورد اثناء الحرب العالمية الاولى بالروس وطلبوا دعماً روسياً لاقامة دولة كوردية مستقلة على ان تكون مثل هذه الدولة تحت الحماية الروسية. وكانت محاولات عبدالرزاق بدرخان، وهو قائد كوردي من كوردستان تركيا، ذات شأن في هذا الصدد. لقد سافر هذا القائد الى روسيا ليعرض تعاون الكورد مع الجيوش الروسية في تقدمها الى بتليس وارضروم عام ١٩١٦. وفي مقابل ذلك طلب عبدالرزاق بدرخان من الروس المساعدة في الحصول على حكم ذاتي كوردي. ويبدو ان الروس قد وعدوا بدولة كوردستان مستقلة (٧٢)، وربما كان الروس راغبين في التسليم بذلك، لكنهم لم يكونوا قادرين على إتخاذ مثل هذه الخطوة ادراكاً منهم بان العثمانيين والفرس والألمان سيعارضون الاجراء (٧٣). وفي تموز ١٩١٨ ناقش زعيم عشائري كوردي من مهاباد (في كوردستان الايرانية) مع بعض المسؤولين البريطانيين فكرة كوردستان مستقلة تحت الحماية البريطانية (٧٤).

لقد عين البريطانيون موظفين سياسيين في جزء كبير من كوردستان، وكان احد هؤلاء سي. جي. ادموندز، الذي كتب فيما بعد بان السياسة البريطانية حينئذ كانت تتجنب اي التزامات لخلق كيان كوردي مستقل أو مستقل ذاتياً (٧٥). ان مسؤولاً بريطانياً آخر هو العقيد ولسن [نائب الحاكم الملكي العام البريطاني في العراق] زار السليمانية في ١ كانون الاول ١٩١٨ والتقى مع ٦٠ من الزعماء الكورد البارزين، الذين كانت لديهم اراء مختلفة حول مستقبل الكورد.

لقد تردد بعضهم في وضع كوردستان الجنوبية (كوردستان العراقية فيما بعد) تحت الادارة البريطانية بينما ادعى آخرون بان كوردستان يجب ان تُفصل عن عراق الانتداب وتُحكم من لندن مباشرةً. اما الشيخ محمود البرزنجي، وهو القائد الكوردي الاكثر سلطةً يومذاك فيما صار يعرف بكوردستان العراقية اخيراً، فقد شدد على ان الكورد يطالبون بدولة مستقلة خاصة بهم طبقاً للوعود التي صدرت عن الحلفاء خلال الحرب (٧٦).

الحقيقة ان التصريح الانكلو - فرنسي الذي صدر في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ حدد اهداف الحرب الشرقية للحكومتين البريطانية والفرنسية بأنها «التحرير التام والنهائي للشعوب التي طالما تعرضت طويلاً للقمع التركي، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم» (٧٧)، ووفقاً لذلك كان هناك كلام كثير بعد

الحرب العالمية الاولى مباشرةً عن تحرير الكورد من خلال اقامة دولة مستقلة^(٧٨). وفي نيسان ١٩١٩ قام المندوب السامي البريطاني في القسطنطينية بأبلاغ ممثل [الحكومة] البريطانية في بغداد عن مطالب استقلال كوردي صادرة عن لجنة كوردية في القسطنطينية^(٧٩).

وفي مناسبة أخرى، في ٣ أيار ١٩١٩، ابلى المندوب السامي في القسطنطينية وزارة الخارجية البريطانية بان الكورد «يريدون التحرر الى الابد من الاتراك الذين لم يفعلوا شيئاً لأجل الكورد على الاطلاق»^(٨٠). وفي «يوميات مهمة خاصة في كوردستان» كتب الرائد ي.م. نوئيل، وهو ضابط بريطاني كان على صلة بالشؤون الكوردية حينئذٍ، بان العقيد ارنولد ولسن قدم مقترحات لتأسيس كوردستان مستقلة تشمل مناطق وان وبتليس وديار بكر ومعمورة العزيز (الازيك) تحت اشراف بريطانيا^(٨١).

كان البريطانيون منقسمين في الرأي حول كيفية معالجة القضية الكوردية. فقد ايد بعض المسؤولين البريطانيين فكرة الاستقلال الكوردي، بينما وقف آخرون منهم ضدها^(٨٢). وعلى اية حال كان الاعتبار الرئيس لدى البريطانيين، بعد الهدنة مع العثمانيين في تشرين الاول ١٩١٨، هو الحصول على اكبر ما يمكن الحصول عليه من الامبراطورية العثمانية المتفككة، وكذلك ضمان توازن قوى جديد يضمن عدم استرداد العثمانيين لمركزهم السابق ابدأً. ولأجل تحقيق هذه الغاية كان البريطانيون بحاجة الى صداقة، أو في الأقل موقف غير عدائي، من الشعوب التي كانت تحت الحكم العثماني. لقد وجد البريطانيون انفسهم في خضم معضلة^(٨٣). لقد كان عليهم الحفاظ على مصالحهم الحيوية، وفي الوقت نفسه تنفيذ وعود الحلفاء بخصوص حق تقرير المصير لكل العشوب التي تعيش تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية. ولهذا سعى البريطانيون، حسبما يقول الرائد نوئيل، الى كسب تأييد الكورد لغرض مواجهة دعاية الجامعة الاسلامية Pan- islamic من قبل الترك ومحاولاتهم الرامية الى تحويل الكورد ضد البريطانيين^(٨٤).

عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى وتفكك الامبراطورية العثمانية وجد الكورد، وكذلك الجماعات القومية - العرقية الاخرى في الامبراطورية، انفسهم امام فرصة تاريخية لتحقيق الاستقلال.

وقد تبع تفكك [الامبراطورية العثمانية] تسويات صلح نتج عنها، من بين اشياء اخرى،

معاهدة سيفر في آب ١٩٢٠. وقد هيأت المواد ٦٢، ٦٣، ٦٤ من هذه المعاهدة الحكم الذاتي للكورد الذين يعيشون في الامبراطورية العثمانية، على ان يتحول هذا الحكم الذاتي الى استقلال بعد سنة واحدة بموجب استفتاء يجري بين الكورد (٨٥). ان قوى الحلفاء، لا سيما بريطانيا العظمى، ايدت المطالب الكوردية في معاهدة سيفر. وكانت بريطانيا تنشد، من خلال دعم فكرة حكم ذاتي او استقلال كوردي، اقامة منطقة عازلة بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاشتراكية وتركيا، وبين تركيا واذربيجان الايرانية، وبين تركيا واسيا الوسطى لمنع تكوين دولة تقوم على ادعاءات الجامعة او الوحدة التركية Pan-Turkish. وكان الهدف الآخر هو ضمان وضع الدولة الكوردية المقترحة تحت النفوذ البريطاني. ان بريطانيا لم تهدف الى تفكيك الامبراطورية العثمانية فقط، بل وتجزئة الارض المركزية Core land التي عُرِفَت بتركيا فيما بعد (٨٦). وعلاوة على ذلك ارادت بريطانيا العظمى احتواء اي توسع محتمل للنفوذ السوفيتي في الشرق الاوسط بعد ثورة اكتوبر. ان احتمالات التوسع الروسي ربما ازدادت بعد «مؤتمر باكو لشعوب الشرق»، الذي تولى قيادته لينين، في ايلول ١٩٢٠. وكان [هذا المؤتمر] باعثاً على ازدياد حدة المخاوف البريطانية على مصالحها في آسيا وفي الشرق الاوسط (٨٧). ومن المرجح جداً ان البريطانيين رغبوا في الدولة الكوردية المستقلة لتكون بمثابة منطقة عازلة بين الاتحاد السوفيتي وبين منطقة المصالح البريطانية.

وعلى اية حال لم تتحقق بنود معاهدة سيفر بخصوص اقامة حكم ذاتي او استقلال كوردي. ففي مؤتمر لندن عام ١٩٢١ بدأ الحلفاء بالتنصل من وعودهم للكورد. وكانت هناك عوامل عدة وراء التحول في موقف الحلفاء. الاول تقدم الحركة الوطنية التركية التي كان يقودها مصطفى كمال اتاتورك ودمجها المنطقة الكوردية من الاناضول فيما صار يُعرف بجمهورية تركيا. وكانت هذه المنطقة جزءاً مما اعتُبر منطقة الحكم الذاتي او الاستقلال الكوردي المتفق عليها في معاهدة سيفر. اما العامل الثاني، وفقاً لما ذكرته دائرة الابحاث في وزارة الخارجية البريطانية، فهو المقاومة التركية تحت قيادة اتاتورك الذي منع تصديق معاهدة سيفر، بل ان [الأتراك] رفضوا ايضاً السماح بمرور اي ذكر للكورد او الأرمن في معاهدة لوزان التي حلت محل معاهدة سيفر في عام ١٩٢٣ (٨٨). وكان العامل الثالث هو الادعاءات المتضاربة في مقاطعة الموصل (ولاية الموصل العثمانية سابقاً)، التي كانت تضم كل كوردستان العراقية تقريباً، من

قبل تركيا من جهة وعراق الانتداب والبريطانيين من جهة اخرى. ان المصالح النفطية لبريطانيا في العراق، وخاصة في مقاطعة الموصل، دفعتها الى تأييد الادعاءات العراقية. وهكذا اختار البريطانيون حماية مصالحهم وكان الكورد هم الخاسرون بالتالي (٨٩). وأخيراً فان العلاقات الحميمة بين النظام الكمالي التركي وبين روسيا السوفيتية اقلقت البريطانيين بدرجة كبيرة. ولهذا تخلت بريطانيا عن فكرة دعم تأسيس دولة كوردية، رغبة منها في ضمان علاقاتها الجيدة مع النظام الكمالي الجديد (٩٠). لقد جابه البريطانيون خيار اما الصداقة مع الاتراك او «ترك» الاتراك للنظام الجديد في روسيا، وكان الخيار الثاني، على الأرجح، كارثياً بالنسبة لبريطانيا العظمى. ولهذا اعطى البريطانيون الأسبقية لمصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية الخاصة (٩١). وفُرض على الكورد قبول الدول الجديدة طالما ان دولة كوردية مستقلة لم تكن ذات نفع للمصالح البريطانية او الفرنسية.

كانت المناطق النفطية الكوردية المهمة استراتيجياً واقتصادياً الشاغل الرئيس للبريطانيين عندما قرروا ادخال كوردستان العراقية الحالية ضمن عراق الانتداب، بينما تُركت بقية كوردستان العثمانية السابقة لتدخل ضمن تركيا (٩٢).

تم توقيع معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣، وقد تناولت المادة الخامسة من هذه الوثيقة قضية الاقليات في تركيا، والتي جاء فيها بان حقوق الاقليات سوف تضمن من قبل تركيا (٩٣). وعلى اية حال فأن طبيعة تلك الحقوق لم تُعين، ولم يرد فيها اي ذكر للكورد. ومن الناحية العملية جعلت معاهدة لوزان بنود معاهدة سيفر بلا جدوى.

* * *

على مدى السنوات الثلاث التالية ١٩٢٣-١٩٢٦ رُبطت القضية الكوردية بالنزاع الاقليمي بين عراق الانتداب وبريطانيا العظمى من جهة وبين تركيا من جهة اخرى.

كانت قضية الحدود بين تركيا وعراق الانتداب قد نوقشت سابقاً في معاهدة لوزان. وقد طالبت تركيا بولاية الموصل بمرمتها، وكذلك فعل كل من عراق الانتداب وبريطانيا العظمى. وقد بدأ مجلس عصبة الامم مشاوراته حول [قضية] الموصل في ٢٠ أيلول ١٩٢٤ وعين لجنة خاصة لدراسة النزاع. ورغم ان الكورد يُشكلون اغلبية السكان في ولاية الموصل فان بريطانيا

العظمى وتركيا استمرت في تقديم الادعاءات بالموصل دون اعتبار لمصالح ورغبات السكان الكورد المعنيين بالامر^(٩٤). وجاء في تقرير اللجنة انه ليس هناك مشاعر عراقية قومية في المنطقة المتنازع عليها، وبان الكورد يُظهرون وعياً قومياً متزايداً هو كوردي على نحو متميز^(٩٥). وكانت التوصية النهائية للجنة هي ان مصالح الكورد في ولاية الموصل يجب ان تؤخذ في الحسبان. وفضلت اللجنة نوعاً من ترتيب استقلال ذاتي للكورد^(٩٦). ومهما يكن فقد تم التخلي عن ولاية الموصل للأنتداب العراقي. وعليه فقد قُسمت كردستان بين تركيا وايران والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتي^(٩٧). ومنذ ذلك الحين فصاعداً بدت فكرة الاستقلال الكوردي غير واقعية تماماً، لان اياً من الدول المذكورة اعلاه لا ترغب في رؤية دولة كردية مستقلة قيد الوجود^(٩٨).

والخلاصة، كانت هناك حركة قومية كوردية في ذلك الحين ولفتت انتباه قوى مختلفة لسببين. اولهما وجود حقول نفط الموصل، وثانيهما لأن الكورد موزعون بين دول مختلفة ويمكن ان يُستخدموا من قبل دول معينة لارباك حكومات الدول المجاورة. وهكذا كان الكورد، في هذا السباق، عنصراً دولياً يحظى بنوعٍ من الاهمية^(٩٩).

الفصل الثالث

الكورد في ايران حتى عام ١٩٤١

- الكورد في ايران قبيل الاحتلال الانكلي - سوثيتي.

- الاحتلال الانكلي - سوثيتي ايران.

- النشاطات الالمانية والكورد في ايران المحتلة.

- الكورد في ايران بعد الاحتلال.

الكورد في ايران قبيل الاحتلال الانكلي - سوثيتي:

تردى الوضع السياسي في ايران كنتيجة مباشرة لاندلاع الحرب العالمية الاولى. ورغم ان هذا البلد اعلن حياده بشكل واضح الا ان الصراع بين الروس والبريطانيين من جهة والالمان والعثمانيين من جهة اخرى قد امتد الى ايران وقد انسحب الروس من الحرب ومن مجال التنافس السياسي الايراني كنتيجة مباشرة لثورة اكتوبر عام ١٩١٧، ولكن هذا لم يؤدِ الى تحسن الوضع في ايران^(١). وقد تركت الحرب العالمية الاولى الحكومة الايرانية بدون سيطرة كافية على البلاد، وكان هذا صحيحاً في المقاطعات الواقعة في الاطراف على نحو خاص. لقد اكتسب الزعماء العشائريون الكورد القوة، واسسوا تحاديات عشائرية هددت الحكومة المركزية. ان تعزز المركز العشائري ادى الى زيادة في انعدام القانون ايضاً. وبدأت المطالب الكوردية تُسمع نتيجة للضعف الذي طرأ على سيطرة الحكومة المركزية لقد امتلك بعض القادة الكورد طموحات قومية اصيلة، رغم ان هذه قد رُبطت بالظاهرة التقليدية للثورة العشائرية ضد الحكومة المركزية^(٢).

ان بداية العشرينات كانت ايذاناً بدخول طورٍ جديد في التاريخ الايراني الحديث. فقد

شهدت سنة ١٩٢١ انقلاباً عسكرياً ناجحاً قاده رضا خان، وزير الحربية، والذي مُنح التاج الايراني بأسم رضا شاه بهلوي في عام ١٩٢٥. وكان ذلك نهاية الاسرة القاجارية التي حكمت ايران بين عامي ١٧٩٦-١٩٢٥.

كان ازدياد قوة المقاطعات بالنسبة الى الحكومة المركزية، وتدخل القوى العظمى في الشؤون الداخلية الايرانية، من بين اصعب المشاكل التي واجهت رضا شاه. وتشير تطورات التاريخ الايراني الحديث الى وجود علاقة بين هاتين المسألتين. وكما ذكرنا سابقاً فإن خلفية هذه المسألة هي ان الحكومة المركزية في طهران وهنت خلال وبعد الحرب العالمية الاولى مباشرة. وفي الوقت نفسه كانت عملية اللامركزية Decentralization (*) جارية، في الوقت نفسه، في مناطق معينة من ايران. وكما في بقية اجزاء كردستان الكبرى Greater Kurdistan، تأثر كرد ايران بالحرب العالمية الاولى، لاسيما بالوعود التي اصدرها الحلفاء، وسعى العديد من القادة الكورد الى استغلال الموقف.

اندلغت انتفاضة كبيرة في كردستان الايرانية عام ١٩٢٢ بعد عدد من الحوادث عام ١٩١٨. وكان يقود الثورة رجل يعرف بـ«سمكو»، واسمه اسماعيل آغا، زعيم عشيرة الشكاك التي تعيش الى الجنوب الغربي من رضائية (اورمية) (٣). ان سمكو لم يبلور مركزه في كردستان الايرانية فقط بالسيطرة على اجزاء واسعة من المنطقة، بل تحالف مع الكورد في اجزاء اخرى من كردستان (٤). ودخل سمكو الى كردستان العراقية في عام ١٩٢٣ واجرى اتصالات مع الشيخ محمود البرزنجي، القائد الكوردي الاكثر نفوذاً يومئذٍ. وقد ادعى بان كلاً من سمكو والشيخ محمود كافحوا من اجل تعبئة الحركة الكوردية في كلا جزئي كردستان، ومن اجل توحيد المطالب القومية الكوردية (٥). وعلى اية حال فإن الانتفاضة التي قادها سمكو لم تكن منظمة تنظيمياً جيداً، وان الاساليب التي تم تبنيها كانت تقليدية او «عشائرية» حصراً.

لم تقتصر الانتفاضة على مجال الصراع المحلي، بل تضمنت بُعداً دولياً ايضاً. فقد اقام سمكو اتصالات مع تركيا ومع بريطانيا العظمى.

(*) او الانتقال من المركزية الى اللامركزية.

وتشير المحاضر الدبلوماسية البريطانية بان عداء سمكو لبلاد فارس هو الذي دفعه الى جانب البريطانيين. ومهما يكن فأن سمكو سافر، بعد اندحاره على يد القوات الايرانية في آب ١٩٢٢، الى انقرة املاً في الحصول على دعمٍ من الاتراك^(٦). ولم يحصل سمكو على أي عطف من البريطانيين وذلك على الأرجح بسبب مخاوفهم من تعرض مصالحهم القائمة وعلاقاتهم الجيدة مع الحكومة الايرانية للضرر^(٧). ومن غير المعقول الاعتقاد بأن الحكومة التركية كانت ستدعم سمكو او تورط نفسها في المشكلة الكوردية في ايران، فالاتراك كانوا ينكرون حقوق مواطنيهم الكورد الامر الذي يعني ان الحديث عن دعم تركي للكورد خارج تركيا غير وارد. وفضلاً عن ذلك كانت الحكومة التركية بحاجة الى تحسين علاقاتها مع الدول الاخرى في ذلك الوقت الحرج. وبالرغم من ان انتفاضة سمكو تنطوي على اول فعل شامل من قبل الكورد ضد الحكومة المركزية، الا انه لم تكن لدى سمكو لا الرغبة ولا القدرة على بناء دولة كوردية حديثة.

وكما اكدت [فريدة] كوهي - كمالي فان اعتراف الحكومة الايرانية بالهوية الكوردية لم يكن موضوعاً اساسياً في انتفاضة سمكو^(٨).

* * *

قبل الحرب العالمية الثانية حاولت القيادة الايرانية ان تُنشئ هوية وطنية، وقد واجهت البلاد صعوبات مختلفة في هذا السياق^(٩).

ان خلق هوية وطنية يجب ان يُناقش في اطار برنامج التحديث^(١٠) الذي بدأه وسار عليه رضا شاه في أواخر العشرينات وفي عقد الثلاثينات، والذي توقف بفعل الحرب العالمية الثانية.

ناقش الباحثون [اثر] التحديث بالنسبة الى العرقية، والدور الذي تلعبه الجماعات العرقية في عملية التحديث، وكانت لهم اراء متضاربة حول العلاقة بين التحديث والعرقية. ان الهوية العرقية يمكن ان تكون بمثابة عامل مساعد على التحديث او ان تكون بمثابة عقبة في سبيله^(١١). ويزعم ميكائيل هيشتر بان التحديث وازدياد وسائل المواصلة نتيجة لها تشجع النزاعات العرقية بدلاً من ان تؤدي الى التقارب Closeness^(١٢). ولذا من المحتمل ان

تؤدي عملية التحديث الى تفاقم النزاعات العرقية. ويمكن النظر الى عملية التحديث بوصفها بناء أمة - دولة^(١٣) تتضمن وسائل سيطرة متعددة على مناطق المحيط او الاطراف[التي تقطنها الجماعات] العرقية في سبيل خلق الاندماج من خلال وسائل الاستيعاب او السيطرة الجسدية. ان النُخب العرقية والمحلية قد تسعى الى تعبئة الجماعة العرقية للوقوف ضد التحديث، وغالباً ما تُرجم هذا في المحاولات المبدولة من قبل المركز[اي الحكومة المركزية] للتقليل من دور ونفوذ النُخب المحلية في الاطراف.

* * *

يمثل برنامج التحديث الذي أطلقه رضا شاه جانباً مثيراً للاهتمام من تاريخ الكورد في ايران في العشرينات والثلاثينات. لقد كافح رضا شاه في سبيل ان تكون ايران حرةً من النفوذ الديني، والتدخل الاجنبي، والانتفاضات العشائرية، والاختلافات العرقية. وكان يجب اقامة مؤسسات تعليمية على النمط الاوربي، وخلق بنية - تحتية اقتصادية حديثة كالمعامل وشبكة طرق المواصلات^(١٤). لقد ادى برنامج التحديث في ايران الى تفاقم النزاعات بين الجماعات بشكل عام، وعجل في الوقت نفسه في بروز جماعات اجتماعية وجماعات اقتصادية جديدة^(١٥). ومع ان المناطق الكوردية لم تُدرج في اية برامج تحديث اجتماعية - اقتصادية بعيدة المدى، الا ان الكورد قد تأثروا بها الى درجة معينة.

لقد كان للبرنامج اصداء اجتماعية وقانونية واقتصادية، ومع ذلك فان هناك اراء متضاربة حول التأثيرات الحقيقية واهمية التحديث في ايران. فعلى سبيل المثال، زعم ريتشارد كوتام بان المجتمع الايراني قد تبدل بصورة مثيرة نتيجة لسياسة رضا شاه.

فقد ادت اولاً الى سهولة الوصول الى الشعب الايراني في الاماكن الاخرى نتيجة لسياسة اقامة بنية تحتية ووسائل مواصلات.

وثانياً. ان الشعب الايراني اصبح واعياً للعالم الحديث بشكل متزايد نتيجة للتعليم والتجنيد اللذان اثرا في مختلف مراتب المجتمع الايراني.

واخيراً كان لسياسته في قمع العشائر اصداء معينة^(١٦). ان كوتام يرسم صورة ايجابية نوعاً ما عن التطور الاجتماعي - الاقتصادي الذي تولد من برنامج التحديث. وهو يرى بان

تأثيرات البرنامج كانت متساوية في كل انحاء البلاد. وعلى اية حال فإن المسألة ليست كذلك: فقد أدى البرنامج الى اثاره مشاكل ضمن ابعاد متعددة وادى الى تفاقم المشاعر العدائية بين جماعات عرقية واجتماعية معينة. فقد رُحل عدد كبير من الزعماء العشائريين ووضعت تحت الاقامة الجبرية في طهران ومناطق اخرى، وقد صودرت اراضيهم وصاروا رهائن يمكن استخدامهم ضد عشائرتهم^(١٧). كان الهدف الرئيس لهذه الاجراءات أضعاف العشائر كقوة سياسية وقوة عسكرية وكمؤسسة اقتصادية^(١٨). وهكذا، ورغم الصعوبات الواضحة، نجح رضا شاه الى حد كبير في فرض سلطة الحكومة المركزية على العشائر التي كانت تُشكل حوالي ربع سكان ايران. ومن جهة اخرى بقيت البنية الاساسية للعشائر، كما انها لم تُجرد تماماً من الاسلحة^(١٩).

وربما كان من الممكن ان ينتفع سكان الريف من برنامج التحديث كمحصلة لحملة رضا شاه ضد زعماء العشائر وكبار ملاكي الاراضي Land lords.

ولكن الامر لم يكن كذلك لان التركيز الرئيسي للبرنامج كان خارج المناطق الريفية^(٢٠). وعلاوة على ذلك كان البرنامج يتضمن استيعاب الجماعات العرقية. فقد كان تحويل ايران من امبراطورية متعددة الأعراق Multi-Ethnic الى دولة موحدة ذات شعب وأمة ولغة وثقافة وسلطة سياسية واحدة من بين الاهداف الاساسية لعملية التحديث^(٢١).

وفي عام ١٩٢٨ اعتبر (المجلس)، اي البرلمان الايراني، ارتداء الازياء التقليدية لمختلف الجماعات العرقية خروجاً على القانون. ونتيجة لبرنامج التحديث انخفضت ايضاً نسبة معرفة القراءة والكتابة باللغات غير الفارسية^(٢٢). وتشعبت سياسة الاستيعاب تجاه الجماعات العرقية غير الفارسية. فقد استهدفت السياسة فرض الوعي والشعور الفارسي سعياً الى انشاء أمة ايرانية موحدة تحت سيطرة مركزية؛ وتحريف التواريخ القديمة والحديثة لتلك الجماعات العرقية؛ وإشغال الوظائف في المناطق الكوردية من قبل عناصر غير كوردية، وخصوصاً من الموظفين الفرس؛ وتغيير اسماء المدن والمواقع الى الفارسية^(٢٣). ان سياسة التفرس Per-sianisation التي انتهجها رضا شاه قد ادت، في واقع الحال، الى زيادة وعي الكورد والأذريين بتمايزهم القومي - العرقي^(٢٤). وقد شجع هذا العداء تجاه الحكومة المركزية في اوساط الكورد. ويؤكد نادر انتصار على اهمية التحديث المتفاوت بوصفه سبباً لعدم المساواة

العرقية في إيران، ويدعي بان هذا هو المصدر الوحيد الاكثر اهمية للمأزق الكوردي (٢٥). لقد انعكس هذا على قطاعات اخرى ايضاً مثل التعليم والصحة والخدمة العامة (٢٦). ان عدم المساواة العرقية يمكن ان يُفهم بوصفه محصلة لعملية تهيمش Marginalization جماعات عرقية معينة. وهي ناشئة عن السياسة المقصودة للحكومة المركزية لزيادة التهميش الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي للجماعات العرقية (٢٧).

ان برنامج رضا شاه التحديثي يمكن وضعه في اطار اوسع يشمل السياسات الرسمية في تركيا والعراق وايران وسوريا لانشاء امم - دولة من ناتج جماعات قومية - عرقية متباينة. ان السياسة المشتركة لهذه الدولة كانت تهدف ليس الى اعاقه نمو هوية كوردية متميزة، بل كانت في الواقع تهدف الى تدمير كل ما يُميزها (٢٨).

لقد عانى الكورد بشكل واضح من سياسة رضا شاه المركزية، اذ لم تقم جامعات في المقاطعات خارج طهران، بل حتى ان المدارس الابتدائية والثانوية نادراً ما كانت توجد خارج المدن، وبذلت الحكومة الايرانية جهوداً كبيرة لازالتها تماماً. فضلاً عن ذلك فان نوعية الرعاية الصحية في كوردستان وبلوجستان كانت الأسوأ من بين كل انحاء ايران (٢٩).

شهدت الثلاثينات عدداً من الانتفاضات في كوردستان الايرانية. وقد تولت قيادتها زعامات عشائرية كانت قد تأثرت ببرنامج التحديث بصورة مباشرة ورفضت الخضوع لسلطة الحكومة المركزية. كما كانت تلك الانتفاضات انعكاساً لرد الفعل الكوردي تجاه سياسة الاستيعاب الايرانية. وقد تولى قيادة تلك الثورات كل من جعفر سلطان جاف وحمة رشيد خان ومحمود آغا كاني - سيناني وعامر خان بالتعاقب - وقد أخدمت كلها بالقوة، وأجبر الكثير من القادة على المغادرة الى المنفى في العراق لحين سقوط نظام رضا شاه عقب الغزو الانكليو - سوفيتي لايران في آب ١٩٤١ (٣٠).

الاحتلال الانكليو - سوفيتي لايران:

كانت المكونات الاساسية لسياسة التحديث التي انتهجها رضا شاه هي، تطوير الصناعة وتحسين المواصلات، وانهاء نفوذ وتدخّل القوى العظمى في الشؤون الداخلية والخارجية الايرانية. ان هناك علاقة متبادلة بين هذين البعدين من البرنامج. ففي سبيل الحفاظ على

استقلال بلاده، وحمايتها من نفوذ القوى العظمى، وخاصة بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي، عمل رضا شاه جاهداً على تحسين علاقات بلاده مع المانيا في الثلاثينات. وهكذا أصبحت تجارة ايران الخارجية مع المانيا ذات شأن على نحو واضح^(٣١). وخلال النصف الثاني من الثلاثينات سعت المانيا الى مد نفوذها الى الشرق الاوسط، لاسيما الى ايران وتركيا. ففي ايران ضمنت الصناعة الالمانية هيمنة مطلقة على مجالين استراتيجيين، وهما المواصلات والتسلح. وسرعان ما استنتج السوفييت بان النفوذ الالمني في ايران، من خلال السيادة في هذين المجالين، يمكن ان يهدد بشكل خطير المصالح السوفيتية في المنطقة كلها^(٣٢). ان الخطة الالمانية، لبناء الصناعة الايرانية بدت مُكيفة للاندفاع النهائي للجيش الالمني نحو الشرق^(٣٣). ومن جهتهم اعتبر الايرانيون المانيا سوقاً واحدة ومصدراً للتجهيز، وعلاوة على ذلك كانوا مقتنعين بأحترام المانيا لـ «آريتهم المشتركة»^(٣٤). ان اغلاق رضا شاه المدارس الامريكية والبريطانية في عام ١٩٤٠ كان امتداداً للسياسة القومية التي اتبعها منذ العشرينات والثلاثينات^(٣٥). وكان الايرانيون، آخذين في الاعتبار علاقاتهم الحميمة مع المانيا، ميالين الى مواجهة اي تدخل محتمل في / او سيطرة على ايران من قبل الاتحاد السوفيتي او بريطانيا العظمى، أو من قبل القوتين مجتمعتين. لقد كان الالمان اكثر مقدرة ورغبة من كل من السوفييت والبريطانيين في تجهيز ايران بالطائرات ومعدات السكك الحديدية على سبيل المثال^(٣٦).

* * *

كانت هناك تقارير في نهاية حزيران ١٩٤١ بان الالمان قد اسسوا هيئة اركان عامة مصغرة، في المفوضية الالمانية في طهران، كانت لها اتصالات مع فروع الشركات التجارية في ايران^(٣٧). وكانت هناك ادعاءات بوجود «طابور خامس الماني» متمركز بشكل استراتيجي في كل انحاء ايران. وبان ازدياد نشاطات «الطابور الخامس» قد توافقت مع الغزو الالمني للاتحاد السوفيتي، وبأن مسألة ثبات الطابور في اطار غزو الماني لأيران عبر القوقاز قد نوقشت^(٣٨).

وعلى اية حال قدمت السلطات الايرانية تأكيدات رسمية بأنه لا وجود لنشاط طابور خامس

مُنظم من قبل الالمان في ايران. فضلاً عن ذلك اكدت الحكومة الايرانية بأن الشرطة الايرانية تراقب الالمان مراقبة دقيقة^(٣٩). وأوحت برقية مرسله من المفوضة الامريكية في طهران الى وزارة الخارجية الامريكية انه بالرغم من الخطر الكامن لنشاطات الطابور الخامس فأن البريطانيين يستخدمون المسألة ذريعة لغزو ايران^(٤٠). وكانت هذه الحجة متطابقة مع وجهة النظر الايرانية بخصوص الموقف البريطاني^(٤١). ومع اعترافها بالمخاطر المترتبة على الوجود الالمني في البلاد فأن الحكومة الايرانية سعت الى تطمين كل الاطراف ذات العلاقة، اي السوفييت والبريطانيين و بصورة خاصة الأمريكيين، بأنها تعمل من اجل طرد الالمان^(٤٢).

سعى رضا شاه الى ابقاء ايران خارج الحرب ذاتها، وقد اعلنت الحكومة الايرانية رسمياً في ٤ أيلول ١٩٣٩ وقوفها على الحياد في الحرب الدائرة. وعلى اية حال، وبالرغم من هذا الاعلان، كان رد فعل المسؤولين الايرانيين متعاطفاً مع المطالبة الالمانية بدانتزك (كدانسك) والممر البولندي^(٤٣). كما ابقى رضا شاه على التعاون الاقتصادي مع المانيا. ومع قلة عددهم كان بإمكان الالمان الموجودون في ايران ان يشكلوا تهديداً لشركة النفط الانكلو - ايرانية وللنقل والمواصلات على سبيل المثال في ايران^(٤٤). وبالإضافة الى ذلك ادت التطورات في الشرق الاوسط الى اثاره المخاوف دائماً من نفوذ الماني متزايد في المنطقة. ومن مظاهر ذلك التعاطف الذي حصلت عليه المانيا من القومييين (رشيد عالي الكيلاني والقادة العسكريين البارزين) الذين قادوا انقلاب نيسان ١٩٤١ ضد البريطانيين في العراق^(٤٥). ولو قدر النجاح لذلك الانقلاب فأن تأثيره لم يكن ليقتصر على المصالح البريطانية في العراق، اذ كان معروفاً ان قادة الانقلاب يعتزمون تحرير فلسطين وسوريا من الانتداب^(٤٦). وعلاوة على ذلك هياً الانقلاب مؤشراً واضحاً على طبيعة مخططات [دول] المحور «Axis» ونفوذهم في منطقة الخليج العربي^(٤٧). وعلى اية حال فقد فشل الانقلاب وبقي العراق بعد ذلك مرتبطاً بقضية الحلفاء. ومع ذلك بقيت بريطانيا قلقة من [عمليات] تقدم المانية محتملة الى المنطقة. لقد كان الانقلاب عاملاً مهماً في أثاره مخاوف البريطانيين، ثم السوفييت بعد وقت قصير، بخصوص مستقبل الشرق الاوسط في اطار الحرب.

وهكذا كان القرار البريطاني - السوفييتي بغزو ايران مرتبطاً جزئياً بالمخاوف التي اثارها الانقلاب المؤيد للالمان^(٤٨).

مع الغزو الألماني للاتحاد السوفييتي في حزيران ١٩٤١ أصبح نشاط الالمان ونفوذهم في ايران ذا مغزى. وكان الهجوم الألماني على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية مثار قلق مشترك لبريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي بشأن ايران، لان القوات الالمانية سرعان ما ستهدد منطقة القوقاز. وان اندفاعاً المانيا نحو ايران كان سيعرض للخطر الجناح الايسر للسوفييت والأجنحة الخلفية Rear flanks [للقوات] البريطانية^(٤٩). وكان هناك ما يبرر المخاوف من هجوم الماني عبر [منطقة] ما وراء القوقاز نحو المناطق الكوردية. ان الدليل يبين بوضوح بان مدى الهجوم كان محدداً بالاستيلاء على مصادر نفط القوقاز والوصول الى ممرات الحدود الايرانية والعراقية للتقدم صوب بغداد^(٥٠). وهكذا كانت عموم كوردستان على وشك ان تصبح ميدان حرب للعملية الالمانية المقترحة.

عقب الغزو الألماني للاتحاد السوفييتي وجه كل من البريطانيين والسوفييت انتباهاً أدق لأيران واهميتها الاستراتيجية للحرب^(٥١). وكان على الحكومة البريطانية ان تصطف مع الاتحاد السوفييتي وتدعمه^(٥٢). وقد وضع الغزو الألماني للاتحاد السوفييتي ايران بين صخرتي الرحي لقد قام الالمان بأندفاعات في الاتحاد السوفييتي وبذلك هددوا ايران. وعلاوةً على ذلك حذرت الحكومة الالمانية رضا شاه بان طرد الالمان سيُعد عملاً غير ودي. وفي الوقت ذاته كان كلٌ من البريطانيين والسوفييت مهتمين بتخليص ايران من الالمان^(٥٣).

ان المجهود الحربي السوفييتي ضد الالمان كان يتطلب [وصول] معدات واسلحة من وراء البحار. وكان طريق الامدادات الاكثر اماناً الى الاتحاد السوفييتي من خلال سكة حديد عبر - ايران Trans- Iranian (اي سكة الحديد التي تمتد من جنوب ايران الى شمالهم - المترجم). ولهذا اعتُبر احتلال ايران امراً لا مفر منه لضمان وصول الامدادات اللازمة [الى السوفييت]. ان وجود طابور خامس الماني ربما كان يشكل عقبة امام المحاولات البريطانية والامريكية لتسليم الشحنات الى الاتحاد السوفييتي.

وخلال أشهر حزيران وتموز وأب ١٩٤١ كشفت بريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي احتجاجاتهما الدبلوماسية ضد الحكومة الايرانية بخصوص وجود طابور خامس الماني في ايران^(٥٤)، واكد رضا شاه مرة اخرى عدم وجود مثل هذا الطابور الخامس^(٥٥)، ومع ذلك وافقت الحكومة الايرانية على تخفيض عدد الالمان الموجودين في البلاد^(٥٦).

وفي منتصف تموز ١٩٤١ اقترح السفير السوفيتي في لندن مايسكي على انطواني ايدن ان تقدم الحكومتان البريطانية والسوفيتية طلباً مشتركاً الى الحكومة الايرانية لحثها على تخليص ايران مما يتراوح بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ وكيل الماني يعملون هناك^(٥٧). وقد رفضت الولايات المتحدة الامريكية دعم الاحتجاج الانكلو - سوفيتي بخصوص طلب طرد الالمان من ايران. وعلى اية حال فأن الوزير الامريكي المفوض في طهران استلم تعليمات [من وزارة الخارجية الامريكية] لحث الحكومة الايرانية بأن تفعل كل ماتستطيع فعله لمنع انتشار نشاطات المحور^(٥٨).

* * *

في ١٩ تموز و ١٦ آب قدمت البعثتان الدبلوماسيتان السوفيتية والبريطانية في طهران مذكرة الى الايرانيين تطالبهم فيها بطرد عدد كبير من الالمان من ايران^(٥٩). وادعت رسالة مؤرخة في ٢٥ آب ١٩٤١ كتبها رضا شاه الى الرئيس الامريكي [فرانكلين روزفلت] بان السوفييت والبريطانيين قد آثروا قضية وجود الالمان في البلاد على الرغم من التأكيدات الايرانية بأنهم سيُخرجون من ايران^(٦٠). وكان الايرانيون يرغبون في معرفة ماهو الموقف الذي ستتخذه الولايات المتحدة الامريكية في حالة تعرض ايران الى غزو بريطاني - سوفيتي. وقد عبر وزير الخارجية الامريكي كورديل هول عن وجهة النظر الامريكية للوزير [المفوض] الايراني في واشنطن حيث صرح بأن البريطانيين يخططون استراتيجيتهم دون التشاور مع حكومة الولايات المتحدة الامريكية. واذف الوزير [الامريكي] بأن الغزو امر محتمل كأجراء ضروري لمنع النشاطات الالمانية في المنطقة^(٦١). وعلى اية حال كانت هناك اراء مختلفة في الدوائر الرسمية الامريكية. وكان ميوري، رئيس قسم شؤون الشرق الادنى في وزارة الخارجية الامريكية، يجادل بأنه يجب بذل كل جهد لحث البريطانيين على التفاوض مع الايرانيين لأجل ضمان تعاونهم الودي^(٦٢). ورغم ان الشاغل المباشر للبريطانيين والسوفييت كان قضية وجود الالمان في ايران، الا ان الاحتلال الانكلو - سوفيتي قد استهدف ايضاً ضمان طريق الامداد وحماية حقول النفط فيما وراء القوقاز^(٦٣).

* * *

في ٢٥ آب ١٩٤١ غزت القوات البريطانية والسوفيتية ايران في وقت واحد (٦٤). وقد دخل البريطانيون عبر القسم الجنوبي، وغزا السوفيت القسم الشمالي من البلاد. ورغم ان الايرانيين اشاروا الى انه ربما كانت هناك بعض المقاومة للقوات الغازية ولكن ثبت ان هذه المقاومة كانت محدودة جداً (٦٦). وكانت خسائر البريطانيين قليلة وهي ٢٢ قتيلًا و ٤٢ جريحاً (٦٧). وكانت النتيجة المباشرة للغزو تقسيم ايران الى ثلاث مناطق «Zones»؛ الاولى هي المنطقة البريطانية (الجنوبية)، او تضم الاقسام الجنوبية والوسطى من البلاد، والمنطقة المحايدة (الوسطى)، وبضمنها طهران ومشهد، والمنطقة السوفيتية (الشمالية) التي تضم، عدا بعض الاستثناءات، مقاطعات اذربيجان ومازندران وكيلان واستراباد وخراسان (٦٨). وقد وقع القسم الشمالي من كردستان الايرانية تحت احتلال القوات السوفيتية، والقسم الجنوبي منها تحت احتلال القوات البريطانية، اما القسم الاوسط منها، والذي يضم مدينة مهاباد المهمة سياسياً، فقد بقي ضمن المنطقة المحايدة.

مع الغزو الانكلو - سوفيتي اتصل رضا شاه بالولايات المتحدة طالباً المساعدة من الامريكان لأستخدام مساعيهم الحميدة لوقف الغزاة (٦٩).

وفي محادثة بين كورديل هول وبين رونالد كومبيل، وهو موظف من السفارة البريطانية في واشنطن، أبلغ الأخير بأن بلاده يجب ان تصدر اعلاناً بخصوصي نواياها في ايران. فضلاً عن ذلك كانت الولايات المتحدة قلقة بشأن مستقبل ايران في ظل الاحتلال ونتائجه. وفي ٢ أيلول بعث الرئيس روزفلت رسالة الى رضا شاه مؤكداً له فيها دعم الولايات المتحدة الامريكية لاستقلال ايران ووحدة اراضيها (٧٠).

لقد بات احتلال ايران حقيقة الآن، وان الاستغاثات الايرانية بخصوص التدخل الامريكي كانت بلا جدوى. وقد عملت بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي على اضافة صفة رسمية على طبيعة علاقاتهما مع ايران، وادت هذه الجهود الى عقد المعاهدة الثلاثة Tri- Partite Treaty في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٢ - وكانت هناك، على اية حال، بعض الصعوبات في تمرير المعاهدة من خلال «المجلس». ويرجع ذلك، في جزء منه، الى التقدم الالمانى في عمق الاتحاد السوفيتي، الامر الذي دفع بعض اعضاء المجلس الى التردد في المصادقة على مسودة المعاهدة. وقد جاء في المادة الخامسة من المعاهدة ضمان سيادة ايران واستقلالها السياسي

ووحدة اراضيها في مقابل استخدام كل مواصلاتها الداخلية^(٧١).

النشاطات الالمانية والكورد في ايران المحتلة:

انتهى التمثيل الدبلوماسي الالمانى في ايران نتيجة للاحتلال الانكلو - سوفيتي، ومع ذلك زاد الالمان من نشاطاتهم السرية في ايران بعد الغزو. ان هذه النشاطات التي اشترك فيها قوميون ايرانيون الى جانب الالمان كانت موجهة، في جزء منها، نحو مختلف الجماعات العرقية والعشائر. فعلى سبيل المثال اتصل فرانز ماير، وهو موظف في السفارة الالمانية في طهران كان قد اخفى نفسه بعد الغزو، بموظفين ايرانيين بارزين في كانون الثاني ١٩٤٢. وخلال الشهر ذاته ايضاً تمكن ماير من اقامة اتصالات مع حركة القوميين الايرانيين «مليونى ايران» (نشير اليها من الان فصاعداً بأسم مليون)^(٧٢).

لقد وجد كاتب هذه السطور معلومات وثائقية تكشف الكثير، وذلك ضمن «وثائق ماير - Mayer Documents» في الارشيف القومي [الامريكي]^(٧٣). وقد حصل البريطانيون في الاصل على هذه الاوراق في ايران، وتُقلت نسخة من الملفات الى الامريكيين. ووفقاً لوزير [المفوض] الامريكي في طهران فقد كانت هناك مبالغة في التوكيد بشأن القصة الموجودة في الوثائق عن نشاطات فرانز ماير. ومع ان الوزير [المفوض] الامريكي لم ينكر تماماً اهمية النشاطات الالمانية الا انه غير مقتنع بأن «وثائق ماير» تقدم دليلاً قوياً على مؤامرة خطيرة ضد الأمن في ايران^(٧٤). وعلى اية حال فأن عرضاً قدمه مساعد الملحق العسكري في المفوضية الامريكية في طهران (جون جي. أوندرك) يتضمن حُججاً تمنح المصدقية للتقديم البريطاني لوثائق فرانز ماير^(٧٥).

لقد زُعم بان الهدف الرئيسي [الحركة] مليون كان العمل على تحريض الكورد والجماعات الاخرى لاجل دفعهم للقيام بالثورة وتدمير وسائل المواصلات^(٧٦). وعلى اية حال تشير المصادر الأولية الى ان العلاقة بين الكورد ومليون كانت محدودة جداً في واقع الحال. وكان الأمر كذلك بالنسبة لمساهمة الكورد في الحركة. ووفقاً لخطط مليون لم يكن في النيّه ان يؤدي الكورد أي دور رئيسي. وان ملحقاً للوثيقة رقم ٤٩ من وثائق ماير يتضمن اشارة مختصرة جداً الى الوجود المزعوم للعديد من الالمان في كوردستان^(٧٧). وليست هناك

تفاصيل أخرى تقدم وصفاً عن النشاطات التي قام بها هؤلاء الالمان، كما انه ليست هناك اية معلومات دقيقة عن طبيعة اتصالاتهم مع الكورد. وعلى العكس من ذلك هناك تأكيدات بأن حركة مليون نجحت في اقامة علاقات وثيقة مع شعوب مختلفة في المقاطعات الايرانية المختلفة، فيما عدا الكورد (٧٨). ان واحداً من تفسيرات ذلك هو الافتراض بأن الكورد كانوا مع الجانب الروسي نوعاً ما (٧٩). ومع ذلك فإن الاقاليم الكوردية كانت حيوية طبقاً للخطة العسكرية لحركة مليون، وكانت المدن الكوردية، وطرق الامدادات للروس في كوردستان اهدافاً مهمة لأي اجراء ذو صلة بغزو الماني لأيران (٨٠).

كان الهدف الرئيسي لحركة مليون مساعدة الغزو الالمني من خلال اساليب التخريب. كما ان الحركة فكرت في استغلال الازمة التي ستنشأ من خلال / أو بسبب غزو الماني لأجل الاستيلاء على السلطة في طهران (٨١). ان غزواً المانيا كامناً لأيران كان سيبدأ اصلاً من خلال القوقاز او جنوب ايران (٨٢). وعلى اية حال، من الصعب التقرير الى اي مدى كانت حركة مليون ناجحة في تلبية اهدافها (٨٣).

الكورد في ايران بعد الاحتلال:

ان فهماً أوضح عن الكورد خلال الفترة قيد الدراسة يتطلب نظرة جغرافية - سياسية (جيوبولتيكية). ان هذا سيفيد ايضاً في تسليط الضوء على صلة الكورد بالصراعات والشؤون السياسية المحيطة بهم. ان مصطلحاً ذو علاقة وثيقة في هذا السياق هو مصطلح «النطاق الشمالي Northern Tier». وبالرغم من عدم الاتفاق بين المؤرخين حول الاقطار التي يتألف منها النطاق الشمالي، فقد تم التأكيد بأن تركيا وايران هي الاقطار الاكثر اهمية من بينها. ان المناطق الكوردية تشكل قلب النطاق الشمالي، وهي منطقة كانت لها اهمية كبيرة خلال الحرب العالمية الثانية، والصراع اللاحق من اجل النفوذ بين القوى العظمى (٨٥).

ان المشاورات السوفيتية - الالمانية بخصوص مناطق [النفوذ] جرت عشية الحرب العالمية الثانية واستمرت في ١٩٤٠، وكان النطاق الشمالي من ضمن موضوعات البحث. ووفقاً لبروتوكول سري وُقِع في وقت مبكر بين الالمان والسوفييت، مُنح الاتحاد السوفيتي تأكيداً

حول امكانية [مد] نفوذه الى الشرق الاوسط. وقد اُضيف اليه في تشرين الثاني ١٩٤٠ بروتوكول ادقُ صياغةً ورد فيه بان المنطقة الواقعة الى الجنوب من باكو وباطوم في اتجاه الخليج الفارسي [العربي] تُعد مركز الطموحات السوفيتية^(٨٦)، ولذا فان المناطق الكوردية كانت على صلة كبيرة بطموحات الاتحاد السوفيتي.

* * *

ان التقدم المشترك للقوات السوفيتية والبريطانية في اتجاه طهران عجل في سقوط نظام رضا شاه، وقد قاد ذلك الى فوضى سياسية وفراغ قوه من ايران وتسبب الاحتلال في استقالة رضا شاه لصالح ابنه محمد رضا في ١٦ أيلول ١٩٤١^(٨٧). وسادت حالة من الفوضى المالية والاقتصادية، وتفاقت الاوضاع سوءاً بسبب الحرب [العالمية الثانية] والاحتلال الأنكلو - سوفيتي^(٨٨). وكان للغزو ايضاً وقعه على كل من الحكومة المركزية في طهران والمعارضة السياسية، لا سيما الشيوعيين، وكان له تأثير واضح على وضع الكورد والذي سيناقش لاحقاً^(٨٩). ان تطوراً مهماً ذو صلة بالاحتلال هو بدء الحقبة الاكثر ليبرالية في ايران الحديثة بين ١٩٤١-١٩٤٦. كانت ايران اثناء هذه الحقبة اقرب الى كونها ملكية دستورية من اي وقت آخر^(٩٠). ولقد ترتب على المناخ السياسي الجديد ان مختلف الجماعات، سواء العرقية منها او السياسية، احتفظت بعلاقات سياسية مع مختلف القوى الخارجية، التي حاولت بدورها دعم تلك الجماعات في سبيل خدمة مصالحها الخاصة^(٩١). وبعد الاحتلال لم يعد اغلبية نواب «المجلس» يعينون من قبل الشاه شخصياً، وصارت مطالب الطبقات الوسطى والدنيا تؤخذ في الاعتبار في «المجلس» الآن. ومع الحرية الجديدة اصبح بإمكان الصحافة الآن الكتابة عن السخط الشعبي^(٩٢). وبأختصار عزز الاحتلال تفعيل Activation جو الحركات القومية.

* * *

تسبب سقوط نظام رضا شاه في حالة فوضى سياسية وانعدام القانون في ايران. ان الاندحار، والتفكك اللاحق، للجيش الايراني هياً الفرصة لأفراد العشائر لتكديس الاسلحة.

وهكذا ظهرت العشائر مجدداً كعنصر قوة مهم يجب ان يُحسب حسابه من قبل كل من الحكومة الايرانية والقوى العظمى (٩٣). وقام الزعماء العشائريون بدور بارز خلال الفترة قيد الدراسة. لقد كانت وجهة النظر الرسمية لبريطانيا العظمى حول الوضع، سواء قبل او بعد انهيار سلطة رضا شاه، هي ان القوة الكوردية في ايران كانت قد قُلصت اثناء حملة رضا شاه ضد الكورد. ومهما يكن فقد ثبت ان تهدهه Pacification الزعماء الكورد كان وهماً، لان نظام رضا شاه انهار وعاد الزعماء منذ ذلك الحين الى عشائرتهم واستردوا سلطانهم المحلي (٩٤).

ومع دخول القوات السوفيتية والبريطانية الى ايران، انحل الجيش الايراني وفقدت الحكومة المركزية السيطرة الفعالة على البلاد. وقد عزز هذا شعوراً بالامل بين الكورد، الذين بدأوا يستردون مركزهم التقليدي، وهو شبه الاستقلال الذاتي (٩٥). كانت المقاومة الكوردية للحكومة المركزية الايرانية غير منظمة في البداية. فقد كانت عفوية وتقودها جماعات عشائرية كانت قد فقدت قوتها في سياق برنامج رضا شاه التحديثي (٩٦). ان المركزين الاوليين للاضطرابات كانا مريوان وجبال هورمان، حيث اقام محمود آغا كاني سيناني سيطرة غير ثابتة، وبانه Baneh حيث اقام حمه رشيد خان، الذي كان منفياً في العراق منذ فترة طويلة، امارة ضمت ساقز وسردشت. وقد اعترفت الحكومة المركزية الايرانية الضعيفة بالزعيمين العشائريين كحكام شبه رسميين في مناطقهم. وعلى اية حال فأن القوات الايرانية ساقتهم الى العراق.

* * *

ان طبيعة القوة الاجتماعية - السياسية السائدة بين الكورد هي مسألة مهمة في مناقشة المأزق الكوردي في ايران ما بعد الاحتلال.

ففي الايام المبكرة من الاحتلال هيمنت العناصر العشائرية على مجال التنافس السياسي الكوردي. وسرعان ما ظهرت انماط اخرى من القوى السياسية بعد الغزو، وأعني التنظيمات السياسية الكوردية.

ان هذا التطور اعتمد بدرجة كبيرة على الوضع العام الذي نجم عن الاحتلال (٩٨).

شكلت العشائر الكوردية عنصراً مهماً في الاطار السياسي والامني الكوردي، وقامت بدور مركزي على الاصعدة المحلية والوطنية والدولية. لقد كانت العشائر عاملاً حاسماً يؤثر في الحركة القومية الكوردية من الداخل. وفي المناخ السياسي الجديد يمكن تعبئة الحركة القومية الكوردية بسبب الظروف التي أتاحت بواسطة الاحتلال.

ان العشائر التي لم تعد مقيدة بكوابح النظام السلطوي Authoritarian السابق، صارت قادرة على اعادة تسليح نفسها، وهكذا اصبحت تهديداً جدياً للاستقرار الداخلي ولأمن البلاد. ولقد كانت العشائر ايضاً القوة الاجتماعية - السياسية التي تعاملت معها القوى العظمى، وكان السوفييت والبريطانيون على دراية بالقوة الجلية التي تمتلكها العشائر في ايران.

كان تفكك الجيش الايراني عاملاً حاسماً، لأنه مكن العشائر من الاستيلاء على البنادق والذخيرة^(٩٩). وان القبائل الكوردية تحدت الشرعية ووجود السلطات الايرانية في المناطق الكوردية^(١٠٠). وكانت هناك مسألة أمنية اخرى في هذه الانحاء وهي الغارات التي شنتها عشائر معينة على القرى، وخاصة القرى غير الكوردية، في اطراف بحيرة أورمية. وقد ازدادت مثل هذه النشاطات بعد الاحتلال، ومع ذلك فقد سبق وان حدثت بدرجات متفاوتة فيما مضى^(١٠١).

وهكذا مثل قادة العشائر العنصر الذي حصل على وضع Status اجتماعي - سياسي متميز ضمن المجتمع الكوردي. وفضلاً عن ذلك فإن هؤلاء القادة شكّلوا النخبة التي يمكن ان تعمل كفاعل سياسي وتمثل الكورد في ايران امام القوى المحتلة. ولذا فإن بحثاً موجزاً عن العشائر الكوردية في كوردستان الايرانية امرٌ وثيق الصلة بأغراض دراستنا هذه.

توجد اكثر من ٦٠ عشيرة كوردية معروفة^(١٠٢) في كوردستان الايرانية، وهي تتراوح ما بين عشائر كبيرة تضم حوالي ١٢٠.٠٠٠ فرد، وعشائر صغيرة تضم كل واحدة منها بضعة الآف فرد^(١٠٣). ان قبيلة الجلالى، التي تتألف من نحو ٢٥٠٠٠ فرداً، تقيم في شمال غرب كوردستان الايرانية قريباً من الحدود التركية والسوفيتية.

وبالرغم من حجمها فإن عشيرة الجلالين أدت دوراً غير مهم نسبياً في احداث الفترة قيد الدراسة^(١٠٤). وبقي الجلاليون اثناء الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة عامر خان، الزعيم

القوي لعشيرة الشكاك، والاكثر نفوذاً بين الزعماء العشائريين الكورد في كردستان الايرانية. اما العشيرة المجاورة للجلاليين من الجنوب فهي الميلانيين، التي يُقدر عدد افرادها بنحو ١٠.٠٠٠ فرد. وكانت عشيرة الشكاك احدى اكثر العشائر اهمية في كردستان الايرانية سواءً من حيث توزيع القوة بين العشائر الكوردية، او من حيث الدور السياسي الذي لعبه زعماء الشكاك. وكان الشكاك، الذين يتألفون من قسمين رئيسيين هما كاردار وعبدوفي، ثاني اكبر عشيرة كوردية في ايران ويبلغ تعداد افرادها نحو ٤٠.٠٠٠ فرداً. وقد تصادم الشكاك مع اقلييات غير كوردية في المناطق المجاورة، أعني نصارى سهل سلماس والسكان الأذريين في مدينة خوي^(١٠٥). وبالرغم م وجود شقاقت داخل الشكاك فان عامر خان لعب دوراً موحداً، وقاد الشكاك بمهارة وأدى دوراً ذا شأن خلال الفترة التي تعالجها هذه الدراسة. والى الجنوب[من الشكاك] تُعد عشيرة الهركي العشيرة الكوردية البارزة، ويبلغ تعداد افرادها نحو ٢٠.٠٠٠ فرداً، اساس مُعظمهم في كردستان العراقية. ولأجيال عديدة سيطر الهركيون الايرانيون على منطقة تيركاوار ووديان ميركاوار التي تقع بموازة غرب وجنوب غرب[بحيرة] رضائية. اما اكبر زعمائها شأناً فهو رشيد بگ. وكان زيرو بگ زعيماً بارزاً آخر، وان كان أقل شأناً، يقود كتلة من الهركي^(١٠٦).

وتشغل عشيرة البكزادة منطقة غرب رضائية قرب الحدود التركية في وسط الهركي. وهناك تفاعل بين تواريخ البكزادة والهركي كان شاملاً الى درجة ان العشيرتين تتطابقان احياناً أحداها مع الاخرى. وعلى اية حال فان البكزادة انفسهم قللوا من شأن علاقتهم مع الهركي^(١٠٧). وفي وادي ميركوار في رضائية،[حيث] يمكن العثور على سادة شمدينان النقشبنديين، يتمتع احفاد الشيخ عبيدالله النهري، قائد ثورة ١٨٨٠-١٨٨١ الكوردية ضد العثمانيين، ببعض النفوذ^(١٠٨).

وتُقيم عشيرة زيرزا الصغيرة نسبياً فوق جبال زردكوه الى سهل اشنويه، جنوب وادي ميركوار. وتوجد عشيرة غير كوردية الى الجنوب من عشيرة زيرزا هي عشيرة قره باباغ ومركزها في مدينة نغده^(١٠٩).

والى الجنوب من القره باباغ، وعلى مقربة من الحدود العراقية، هناك عشيرة مامش. وقد تكونت هذه العشيرة بأنقسام اتحاد[عشائر] بلباس في العقد الاول من القرن التاسع عشر

الى قسمين. وتقع ديار المنكور، وهم عشيرة من البلباس ايضاً، في الجبال الى الجنوب من
مهاباد على مقربة من الحدود العراقية(١١٠).
وهناك عدد من العشائر الكوردية الأخرى التي تتفاوت من حيث الاهمية، التي تعتمد على
حجمها الحقيقي او على الدور الذي لعبته في كوردستان الايرانية في الفترة موضوع البحث.

الفصل الرابع

القوى العظمى والكورد: الطور الأول ١٩٤١-١٩٤٣

- السياسة الكوردية لبريطانيا العظمى.
- السياسة الكوردية للاتحاد السوفيتي.
- الكورد واليرانيون والقوى العظمى.
- الكورد والعلاقات بين القوى العظمى.

السياسة الكوردية لبريطانيا العظمى:

ما أن اصبح الاحتلال الانكلو - سوفيتي لأيران امراً واقعاً حتى احتاج البريطانيون والسوفييت الى التعامل مع مختلف اوجه السياسة الايرانية الداخلية. وكان الاكثر اهمية من بين هذه العناصر وجود عدد من الحركات السياسية الايرانية، والاقليات القومية - العرقية في ايران، والقوى الاجتماعية - السياسية الاخرى. وكان الكورد في ايران عاملاً قوياً ليس في مقدور اية قوة اجنبية لها مصالح في ايران التغافل عنه. ان الكورد يمكن، اعتماداً على الظروف، ان يؤدي دور قوة استقرار Stablising او عدم استقرار Destabilising^(١).

كانت بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي على دراية جيدة بالمشكلة الكوردية في ايران والعراق، كما كانوا مطلعين بشكل حسن على موقف تركيا السلبي على نحو متميز تجاه الكورد. وفي ضوء هذه الحقيقة، ونظراً لان المانيا كانت قد غزت الاتحاد السوفيتي حينئذٍ ووصلت الى القوقاز الشمالي، تجنبت بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي اي فعل قد يدفع تركيا الى دخول الحرب الى جانب المانيا. ولهذا اتخذت القوتان في البداية موقف لا مبالاة تجاه الكورد، ومع ذلك فأنهما غيرتا موقفهما بعد فترة قصيرة وتبنتا مواقف مختلفة ازاء

الكورد(٢).

كان من الصعب على الكورد التعامل مع القوتين في وقت واحد.

ويرجع هذا بشكل رئيسي الى حقيقة انه اضافة الى المناطق [الكوردية] المحتلة من قبل القوات البريطانية والسوفيتية، كانت هناك ايضاً مناطق كوردية تقع فيما سُمي بالمنطقة الحرة Free Zone [او المحايدة]. وقد زعم جورج لنشوفسكي بأن النواب الكورد في «المجلس» كانت لديهم مشاعر تعاطف مختلفة تجاه القوى ذات العلاقة تعتمد على المنطقة التي جاؤوا منها. وان هذا كان، في جزء منه، نتيجة للسياسات الخاصة التي اتبعها البريطانيون والسوفييت في المناطق التي كانت خاضعة لاحتلالهم^(٣). وقد تعقد الوضع اكثر بحقيقة صعوبة توحيد الكورد في فاعل سياسي واحد.

مع غزوهم الاتحاد السوفيتي في حزيران ١٩٤١ أصبح الالمان في وضع يهدد المصالح البريطانية في الخليج الفارسي [العربي]، اذ بدا بأن القوات الالمانية قد تشق طريقها عبر القوقاز. ولما كان يجب [في مثل تلك الحالة] عبور المناطق الكوردية، وخاصة تلك التي في العراق وايران، فان كوردستان ستصبح بذلك ساحة معركة. ومن هنا كان من مصلحة البريطانيين تأييد [اقامة] علاقات ودية مع الكورد، وخاصة مع العشائر الكوردية. وفضلاً عن ذلك فان المنشآت النفطية المهمة الخاضعة لسيطرة البريطانيين كانت تقع في كوردستان العراقية، وكان أمن وادارة عمال النفط يعتمد على نجاح سياسة بريطانيا العشائرية^(٤).

ومع ذلك احجم البريطانيون عن دعم الكورد بصورة مباشرة لان الايرانيين سينظرون الى مثل هذا الاجراء بوصفه تدخلاً في الشؤون الداخلية الايرانية، كما ان دعم الكورد يمكن ان يُعد تحريضاً [لاقامة] وحدة كوردية Pan-Kurdism، أو اشارة تشجيع للكورد في تركيا^(٥). وقد اعترف البريطانيون بحقيقة ان العشائر^(٦) مثلت تقليدياً عنصراً مهماً في الشؤون الداخلية، وكذلك الخارجية، الايرانية.

ورغم انهم ابدوا، لهذا السبب، انتباها شديداً لهذا الجانب في صنع السياسة -Policy Making، الا انهم اتبعوا نهجاً يقوم بشكل رئيسي على دعم الحكومة المركزية. ان البريطانيين، كما اسلفنا، كانوا يعرفون من خلال تجربة أسبق بان العشائر تشكل عنصراً قوياً. وبأن قوتها قد ازدادت الآن مع الاحتلال واستقالة رضا شاه وتفكك الجيش الابرائي.

وننتج عن هذه المجموعة من التطورات حكومة إيرانية ضعيفة، واستغل الكورد الفرصة لتكديس الاسلحة^(٧). ومهما يكن فقد كان على البريطانيين توضيح ما اذا كانوا سيسندون الحكومة المركزية او يساعدون «العشائر». وقد نوقشت [هذه] القضية في اجتماع عقد في المفوضية البريطانية في طهران في خريف ١٩٤٢. وبالإضافة الى هيئة السفارة حضر الاجتماع قائد القوات البريطانية في العراق وبلاد فارس، والقائد العام في الهند^(٨). وقد قُدمت حجج عديدة لصالح دعم الحكومة المركزية في طهران، وتم التوصل الى:

- ١- ان حكومة مركزية قوية يمكن ان تتعامل مباشرة مع العشائر.
- ٢- في حين ان الاحتلال واستقالة رضا شاه أديا الى اضعاف الحكومة الإيرانية، فإنه سيكون من مصلحة بريطانيا ومصالحه الإيرانية تقوية السلطات المركزية.
- ٣- يجب على البريطانيين تجنب التورط في النزاعات العشائرية.
- ٤- ان دعم العشائر للمجهود الحربي البريطاني ضد [دول] المحور غير ذي شأن^(٩).

ان النتائج التي تم التوصل اليها في الاجتماع قُدمت الى وزارة الخارجية البريطانية التي صادقت بدورها على التوصيات^(١٠). ان هذا الوجه من السياسة البريطانية كان يقوم اساساً على قناعة بان إيران قوية هي امر جوهري للمصالح البريطانية^(١١). كما ان إيران قوية كانت ضرورية لنجاح قضية الحلفاء، وان اي اضطرابات يمكن ان تُعرض تلك الجهود للخطر^(١٢). ويجب النظر ايضاً الى موقف البريطانيين من العشائر في إيران في ضوء الموقف السوفيتي. فقد تخوف البريطانيون من تعاطف سوفيتي محتمل مع العشائر لان هذا قد يعزز مركز الاتحاد السوفيتي في إيران.

وبرغم ذلك سعى البريطانيون الى اقامة صلات صداقة مع العشائر الكوردية التي تقع ضمن منطقتهم [اي منطقة الاحتلال البريطاني]. ان هذا لم يترجم على الاطلاق الى دعم بريطاني فعلي [للعشائر] بل الرغبة في تحييد Neutralise العشائر لجعلها غير مضرة. وعلى اية حال فعندما اندلعت الانتفاضات في كوردستان الإيرانية بقيادة الزعماء العشائريين بعد الاحتلال مباشرة اكدت الشائعات بأن الانتفاضات مدعومة من قبل البريطانيين. وفي محاولة لمواجهة هذه الادعاءات اصدرت المفوضية البريطانية في طهران اعلاناً مطبوعاً بالفارسية أرسلت نُسخُ منه الى المناطق الكوردية. وقد ذكر الاعلان صراحةً بأن الحكومة البريطانية تدعم

الحكومة الايرانية لأعادة سلطتها على كوردستان. وعلاوة على ذلك أنكر البريطانيون بشكل مطلق اي دعم للقادة المتمردين^(١٣). وكانت الحكومة التركية بدورها قلقةً جداً بخصوص الانتفاضة. وبالرغم من ان الحوادث لم تتخذ ايداً اية صفة سياسية او قومية منظمة، الا ان الحكومة التركية تخوفت من ان الانتفاضات مقدمة لحركة كوردية عامة تهدف الى تأسيس دولة كوردية مستقلة. ووفقاً لذلك عبرت السلطات التركية عن قلقها للبريطانيين، الذين نقلوا بدورهم مخاوف الحكومة التركية الى السوفييت.

وقد ادعى السوفييت بأنهم استلموا، من خلال مذكرة أرسلها إيدن الى مولوتوف، معلومات عن طموحات كوردية لاقامة دولة مستقلة، وعن غارات يقوم بها الكورد على المناطق التركية، وبأن تلك المذكرة تستند الى تفاصيل قدمها وزير الخارجية التركية^(١٤). وذكرت مذكرة مايسكي أيضاً بأن لا علاقة للسلطات السوفيتية بمثل هذه الافعال او الطموحات الكوردية^(١٥). وخلافاً لما كان قد زُعم، فأن القوات السوفيتية قد اتخذت في الواقع كل الاجراءات الضرورية لنزع سلاح الكورد. ووفقاً للسوفييت فأن الاسلحة لم تُعط الى الكورد من قبل الاتحاد السوفيتي بل أسقطت [جواً] إما من منطقة [الاحتلال] البريطاني او المنطقة المحايدة^(١٦).

في وقت مبكر من عام ١٩٤٢ استلمت المفوضية البريطانية في طهران معلومة من القنصل التركي في رضائية، والذي لاحظ بأن الكورد والارمن والاثوريين شكلوا حزباً اسمه «التحرير»، وبأنهم الصقوا بلاغات على الجدران تدعو الموظفين الحكوميين الى الانسحاب من رضائية^(١٧). وقد قيل ايضاً بأن السلطات السوفيتية اصدرت تعليمات الى حاكم رضائية لتقليص عدد افراد الشرطة في رضائية من ١٠٠ الى ٤٥ فرداً^(١٨). ان البريطانيين عبروا عن خشيتهم للسوفييت بلفت النظر الى ان اي اختلاف في السياسة بين البريطانيين والسوفييت ربما يكون مُضراً، خصوصاً اذا ما استُغل من قبل طرف ثالث^(١٩). ومن جهة اخرى. ربما بالغ الممثلون الاتراك في رضائية والحكومة التركية في شأن الحوادث في رضائية، عاكسين بذلك فرط حساسيتهم تجاه القضية الكوردية.

* * *

كان غياب الدعم البريطاني عاملاً أساسياً دفع الكورد الى البحث عن رفيق. وقد ادرك البريطانيون بأن الكورد ينظرون الى السوفييت بوصفهم قوة كبرى يمكن ان تدعم الكورد في وقت لا يفعل فيه البريطانيون ذلك.

وجاء في رسالة بُعثت من المفوضية البريطانية في طهران الى وزارة الخارجية البريطانية في كانون الثاني ١٩٤٢ «ان الولاء البريطاني للحكومة الفارسية هو الذي منع تشجيعنا للكورد، وهكذا تُرك المجال مفتوحاً امام الروس ليظهروا في مظهر الصديق لهم... ان الكورد يدركون الآن ان روسيا هي صديقهم الوحيد» (٢٠). ولغرض تبرير الدعم [البريطاني] للحكومة المركزية في طهران استخدم انطوني ايدن حججاً عسكت الى حد ما الموقف البريطاني الرسمي حيال الطموحات القومية الكوردية. لقد زعم ايدن ان الكورد يتحدثون لهجة من اللغة الفارسية فقط، وصرح بأن الكورد ايرانيون من حيث الجنس واللغة. واستنتج ايدن بأنه ليس هناك اساس حقيقي لقيام حركة استقلال «مصطنعة» او حركة تحريرية وحدوية بين الكورد (٢١). وفي حُجته هذه تقيّد ايدن، عن قصدٍ او بدون قصد، بالاستنتاج الرسمي للحكومة الايرانية بخصوص الكورد وطموحاتهم القومية. وفضلاً عن ذلك فان وزير الخارجية [ايدن] أوجز بأن كل العناصر المعادية لاستقلال ايران وسلامتها ووحدتها يلقون الحماية بالتأكيد من وكلاء السوفييت في منطقتهم [اي منطقة الاحتلال السوفييتي] (٢٢). وهكذا وضع ايدن قضية اهداف قومية كوردية في إطار قوى عظمى، تشتمل على سلطات الاحتلال السوفييتي بشكل خاص. والحقيقة ان مصدر هذه المخاوف البريطانية هو ما زُعم عن رفض السلطات السوفييتية السماح بدخول القوات الايرانية الى المناطق الكوردية (٢٣).

المح المسؤولون البريطانيون في مناسبات عديدة بأن حالة انعدام النظام في كوردستان واذربيجان قد تكون لها مضاعفات على كمية المواد الحربية التي تصل الى الاتحاد السوفييتي عبر شمال غرب بلاد فارس (٢٤). ونوقشت اهمية طريق راوندوز أيضاً فقد كانت الحاجة قائمة لهذا الطريق لأجل نقل التعزيزات البريطانية من/ أو عبر العراق الى القوقاز (٢٥)، وبأنه قد يتأثر سلباً بالاحداث في كوردستان الايرانية. وبالإضافة الى ذلك كان البريطانيون قلقون بخصوص الحالة في كوردستان الايرانية أيضاً في اطار العلاقات التركية - السوفييتية وحيوية تركيا لمجهود الحلفاء الحربي.

وفُهمت حالة عدم الاستقرار العامة في كردستان الإيرانية كعقبة رئيسية امام تحسين العلاقات بين تركيا والاتحاد السوفيتي - ان تركيا تشترك مع ايران في حدود تمر عبر المناطق الكوردية، كما تضم اكبر عدد من السكان الكورد. ولذا كان هذا البلد مهتماً بشكل اساسي بالحفاظ على الوضع السياسي الراهن Political Status quo في كردستان الإيرانية. ولهذا كان تخفيف مخاوف تركيا بشأن هذا الموضوع امراً ملحاً من وجهة النظر البريطانية. وخلافاً لذلك يترتب على تركيا «إعادة النظر في مجمل سياستها فيما يتعلق بالحرب، حتى وأن ادى ذلك الى تقويض عزمها على مقاومة الهجوم الألماني» (٢٦). ومن جهة اخرى كان البريطانيون على دراية بالمرحلة الحرجة من الحرب وتحالفهم العصيب مع الاتحاد السوفيتي، ولذا كان امراً ملحاً بنفس الدرجة منح الاتحاد السوفيتي دعماً كاملاً بغض النظر عن النشاطات السوفيتية بالنسبة للكورد في منطقة [الاحتلال السوفيتي] (٢٧).

وبرغم ذلك كان البريطانيون يأملون بأن الحكومة الإيرانية في طهران سوف تتبنى سياسة توفيقية او استرضائية تجاه العشائر. فعلى سبيل المثال عبر الوزير البريطاني المفوض في طهران ريدر بولارد، في اول محادثة له مع رئيس الوزراء الإيراني على سُهيلي في آذار ١٩٤٢، عن مخاوفه بخصوص المشكلة الأمنية التي تتضمنها بصورة مباشرة [عملية] إعادة تأكيد سيطرة السلطات الإيرانية على العشائر. وطلب بولارد من سُهيلي اصدار تصريح يشتمل على وعد بدراسة مظالم العشائر (٢٨). وعلى اية حال فان التصريح الصادر كان غامضاً وخالياً من اية مقترحات محددة لتحسين احوال العشائر (٢٩). ان الحكومة الإيرانية، برفضها حل المشكلة العشائرية بالوسائل السلمية، رغبت في استخدام الاساليب العسكرية وتشجيع واستغلال النزاعات فيما بين العشائر وفي داخل العشيرة ايضاً - Inter/ Intre tribal conflicts. وهكذا ظلت سياسة الحكومة سياسة استدراج وتلاعب بصورة رئيسية، ولم تتضمن اية محاولة لفهم مأزق العشائر (٣٠).

في مناسبات عديدة نصحت المفوضية البريطانية في طهران الشاه الجديد محمد رضا [بهلوي] ورئيس الوزراء بتبني سياسة توفيقية او استرضائية تجاه الاقليات العرقية في مختلف المقاطعات، وفي مقدمتها مقاطعتي كردستان واذربيجان. وذهب بولارد ابعد من ذلك الى حد اقتراح لامركزية Decentralisation السلطة السياسية، وبذلك يُتاح مجال حركة

أكثر للمقاطعات. ان كلاً من الشاه ورئيس الوزراء كانوا ايجابيين تجاه الفكرة، وبدا بأنهم يُدركون ان منح المقاطعات مجالس محلية يمكن ان يؤدي الى احباط المطالبة بأمتميازات اكبر (٣١). وعلى اية حال فأنهم لم يتخذوا خطوات محددة بخصوص تسوية قضية الاقليات. وتوحي المصادر البريطانية بأن الاصلاحات الكثيرة التي ذكرها الشاه، ومسؤولون في الحكومة الايرانية، ومسؤولون بريطانيون، كانت اجراءات تكتيكية، بصورة رئيسية، ليس الغرض منها معالجة شكاوي الاقليات القومية - العرقية في المقاطعات بل مواجهة الخطر السوفيتي قبل كل شيء (٣٢).

وتكشف الأدلة بأن البريطانيين تخوفوا من التعاون بين الكورد في جميع انحاء كوردستان الكبرى. ان برقية مؤرخة في ٢٤ تشرين الاول ١٩٤١، مرسله من السفارة البريطانية في بغداد الى المفوضية البريطانية في طهران، تعكس المخاوف من التطورات في كوردستان الايرانية. ويرجع هذا الى حقيقة انه كانت هناك علاقة حميمة بين الكورد في ايران وكورد العراق. وكان يُعتقد ان الكورد في العراق يتابعون بشكل دقيق الحالة السياسية في ايران، وتبدو عليهم علامات نفاذ الصبر. وتم التأكيد ايضاً بأنه اذا ما نجح كورد ايران في إقامة منطقة كوردية مستقلة جزئياً، فان مثل هذا التطور سيثير حتماً ردود فعل في كوردستان العراقية (٣٤).

* * *

بُذلت محاولة من قبل الزعيم العشائري حمه رشيد خان، الذي سبق ذكره، لكسب الدعم البريطاني للكورد وإن كانت هذه المحاولة اقل مدى من تلك التي قام بها شريف باشا (٣٥). ان مبعوثاً من قبل رشيد خان زار السفارة البريطانية في بغداد في تشرين الاول ١٩٤١ وناشد البريطانيين لأقامة محمية في كوردستان الايرانية وانقاذ الكورد من القمع الايراني. ورد البريطانيين على ذلك بأن الاستراتيجية الأفضل للكورد هي التوصل الى نوع من الاتفاق مع الحكومة المركزية في طهران - وكرر المبعوث بأصرار بان قبول حكم السلطات الايرانية في المناطق الكوردية امر غير وارد بالنسبة للكورد. وفضلاً عن ذلك فإنه كان قلقاً بخصوص ما اذا كانت الحكومة البريطانية تعتمزم دعم الحكومة الايرانية في اعادة فرض سيطرتها بالقوة على المناطق الكوردية.

وقد أبلغ المبعوث بأنه اذا ساعد الكورد الايرانيون القوات البريطانية عندما تدعو الحاجة الى ذلك فأن من غير المرجح ان تتخذ القوات البريطانية اية اجراءات عسكرية ضدهم. وعلى اية حال فقد ذكر [له] ايضاً أن اي اعمال فوضى تعيق المجهود الحربي البريطاني ستُقمع بشدة^(٣٦). واستمرت بريطانيا العظمى في الحفاظ على موقف حذر تجاه الكورد، بل انها ظهرت مؤيدة لحكومات العراق وايران وتركيا. ومهما يكن فأن رشيد خان لم يكن، في واقع الحال، يُمثل الطموحات القومية الكوردية، ولا اي نسبة مهمة من السكان الكورد. ولم تكن لدى البريطانيين ثقة في حمه رشيد خان ولم يعتبروه ممثلاً شرعياً للكورد في ايران.

السياسة الكوردية للاتحاد السوفييتي:

كان الموقف السوفييتي تجاه الكورد في ايران مرتبطاً بشكل وثيق بسياسة [السوفييت] في المنطقة الخاضعة لاحتلالهم، وبسياساتهم تجاه اذربيجان الايرانية وتجاه ايران، وبعلاقات السوفييت مع البريطانيين والامريكان. لقد كان العنصر الكوردي مهماً بالنسبة للسوفييت فبالاضافة الى حقيقة ان المناطق الكوردية كانت تحت الاحتلال السوفييتي كانت اعداد من الكورد تقيم في اذربيجان وارمينيا السوفييتين؛ وكان هناك طموح كوردي تقليدي للاستقلال او الحكم الذاتي، وان اية حركة كوردية في كوردستان ايران ستكون لها، بلا شك، اصداء في المناطق الكوردية في تركيا والعراق، وهكذا تؤثر في الشؤون الدولية^(٣٧)؛ وان الكورد يمكن ان يُستخدموا كورقة مساومة في العلاقات السوفيتية الايرانية.

بعد وقت قصير من الاحتلال الانكليو - سوفييتي لأيران تبني السوفييت موقفاً تجاه الكورد يختلف الى حد كبير عن الموقف البريطاني. ففي الطور المبكر من الاحتلال كان موقف السلطات السوفيتية يهدف بشكل رئيسي الى ضمان حسن نية الكورد^(٣٨). ولقد عرض السوفييت نوعاً من الحماية «غير المباشرة» للكورد في منطقة [الاحتلال] السوفييتي ضد القوات الايرانية التي اعاقت السلطات السوفيتية المحلية حربة حركتها احياناً^(٣٩).

في أواخر عام ١٩٤١ دعت سلطات اذربيجان السوفيتية وفداً كوردياً يضم ٣٠ من الوجهاء، معظمهم من زعماء العشائر وكبار ملاكي الاراضي في مدينة مهاباد، لزيارة باكو. وقد عكس هذا الاجراء الاهمية التي كان يوليها السوفييت للعنصر الكوردي في ايران.

واعتقد البريطانيون بأن الزيارة مخصصة لمناقشة الخطط بأقامة دولة كوردية مستقلة^(٤٠).
وأشيع أيضاً بأن قراراً قد اتخذ في باكو لتشكيل «هيئة حكم» كنواة لدولة كوردية
مستقلة^(٤١). وصرح الوزير الإيراني [المفوض] في لندن بأن الرحلة قد نُظمت «لبعض العناصر
المشاغبة للسفر الى باكو حيث جرى تدريبهم للعمل بنشاط في دعاية خطيرة. وقد اعيدوا الى
المناطق الكوردية حيث نظموا مظاهرات مكشوفة مؤيدة للنظام السوفيتي مزوجة بميول
انفصالية»^(٤٢). وعلي اية حال فان مايسكي ارسل مذكرة الى إيدن اوضح فيها ان الرحلة
ليست ذات مغزى سياسي وبأنها ذات طابع ثقافي^(٤٣). كما ان مولوتوف اكد لبولارد بأن
الزيارة الكوردية كانت ذات طابع ثقافي حصراً^(٤٤). والحقيقة انه ليس هناك دليل يثبت بأن
هدف السوفييت من دعوة الوفد الكوردي الى باكو كان لغرض دعم الكورد في اقامة
كوردستان مستقلة، بل يمكن النظر الى الرحلة بوصفها محاولة قامت بها سلطات اذربيجان
السوفيتية لضمان علاقات ودية مع الزعماء العشائريين الكورد. وكما استنتج عبدالرحمن
قاسمليو فان الوفد الكوردي لم يكن يمثل حركة قومية كوردية. ان الزيارة تعكس بشكل رئيسي
رغبة السلطات السوفيتية في شمال ايران واذربيجان للاطلاع على حالة الكورد، وفي مقابل
ذلك يتعرف الوفد الكوردي بدوره على الانجازات المادية وظروف العيش في الاتحاد
السوفيتي. ووفقاً لذلك نُظمت رحلات لاعضاء الوفد الى المصانع والمسارح والمعامل...
الخ^(٤٥).

وفي واقع الحال يبدو ان الوفد الكوردي لم تكن لديه خطة اهداف واضحة لتقديمها الى
السوفييت. وكان الوفد يفتقر الى الانسجام بين اعضائه الذين ربما تصوروا، على اية حال،
الدعوة بمثابة علامة دعم سوفيتي محتمل^(٤٦).

زعمت دوائر رسمية عديدة بأن السوفييت قد عزلوا كل الشرطة والجندرية والبوليس
العسكري الإيراني في المنطقة الخاضعة لاحتلالهم، وبأن السلطات السوفيتية رفضت دعم
الحكومة الإيرانية في مساعيها لاعادة النظام إبان الانتفاضات الكوردية. واكد ريدر بولارد
بأن هذا كان مثلاً نموذجياً للموقف السوفيتي العام^(٤٧). وزعم السوفييت بدورهم بأنهم تبنا
سياسة قائمة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية الإيرانية^(٤٨).

ان احدي المسائل التي تستحق انتباهاً خاصاً هي ما اذا كانت السياسة السوفيتية تجاه

الكورد قائمة على اعتبارات ذرائعية (براكمتيه) ام ايدولوجية؟. في المراحل الاولى من الاحتلال الانكلو - سوفيتي لايران جرت اتصالات بين الممثلين الكورد والممثلين الدبلوماسيين المحليين السوفييت، ومع القوات المحتلة ايضاً. وعلى اية حال لم تكن هناك بعد منظمة سياسية كوردية او مؤسسة قومية يمكن ان تمثل الكورد في هذه الاتصالات. وبتعبير آخر لم تكن هناك قيادة كوردية موحدة بامكانها العمل كممثل للكورد بوصفهم اقلية قومية - عرقية. وفضلاً عن ذلك كانت السلطات الايرانية، لا سيما في المقاطعات، قد تفككت. وحتى نهاية الحرب تقريباً كان الزعماء الكورد النخبة الوحيدة التي يمكن ان تعمل كممثل في العلاقات مع السوفييت، والتي يمكنها ان تعمل كنصير للطموحات القومية الكوردية.

وكما استنتج جورج لنشوفسكي كانت القوات المحتلة بحاجة الى التعاون مع العشائر. ان هذه الحقبة تطلبت تبني دبلوماسية ثانية، وهي التي تخص العلاقات مع العشائر، اضافة الى الدبلوماسية العادية، اي العلاقات بين موسكو وطهران على مستوى حكومي. ان العشائر، من خلال حفاظها على اتصالات مع ممثلي القوات المحتلة، شكلت تعقيداً رئيسياً للحكومة الايرانية. وكان هذا صحيحاً ليس بالنسبة للشؤون الداخلية الايرانية فقط، بل فيما يتعلق بسياسة البلاد الخارجية ايضاً، وخاصة تلك المرتبطة بعلاقات ايران مع القوى المحتلة (٤٩).

لم يكن امام السوفييت خيار في ايران سوى الاخذ في الاعتبار حقيقة ان الزعماء العشائريين وكبار ملاك الاراضي يتمتعون بنفوذ اجتماعي وسياسي كبير ضمن المجتمع الكوردي. وكان هناك، في الاقل، بديلين متاحين للسوفييت في التعامل مع كل من العشائر والحكومة المركزية في طهران. فمن جهة كان في امكان السوفييت السماح للقوات الايرانية بدخول المنطقة المحتلة من قبل الجيش الأحمر، والذي يمكن ان تترتب عليه مصادمات بين العشائر وقوات الحكومة. ومن جهة اخرى كان بإمكان السوفييت التعاون مع العشائر وبلورة النفوذ السوفيتي من خلال ذلك في منطقتهم. وبوجه عام نظر السوفييت الى البديل الثاني على انه الخيار الأفضل. ان احد الاعتبارات الكامنة وراء هذا الاختيار هو ان العشائر يمكن ان تعمل بمثابة عامل استقرار على الصعيد المحلي (٥٠). وكان على السلطات السوفيتية ان تتعامل مع الزعماء العشائريين كشركاء اذا ما رغبت في استقرار الاوضاع في منطقتها. ان وليم ايكلتون زعم بأن السوفييت في تعاملهم مع العشائر الكوردية كانوا «يُحفظون

الطموح الكوردي» ويُعززون ايضاً حرية حركة العشائر في الشؤون الداخلية^(٥١). وغالباً ما قيل بأن السوفييت بعد غزو ايران كانوا يدعمون الاعمال التخريبية التي تقوم بها العشائر والحركات الانفصالية في منطقة احتلالهم^(٥٢). ويجب الملاحظة بأن السوفييت كانوا متشوقين في البداية لأن يكونوا على علاقات طيبة مع الجماعات المختلفة، وخاصة مع العشائر. ان هذا النمط من العلاقة ساد في الاعوام ١٩٤١-١٩٤٢، ولكنه تحول لاحقاً في ضوء الظروف المتغيرة اثناء الحرب. ان الافعال السوفيتية بعد احتلال القسم الشمالي من ايران مباشرة كانت موائمة للمجهود الحربي. وقد اعتبرت القيادة السوفيتية ايران خط حياة اساسي لها في صراعها ضد المانيا، ووفقاً لذلك فأنها اتبعت سياسة براغماتية. وتطلب هذا التعاون مع تلك العناصر التي تستطيع المساهمة في حفظ أمنهم، وقد شغلت العشائر مركزاً أساسياً في هذا الاطار.

ان اساس السياسة السوفيتية تجاه المناطق الكوردية يكمن في هذه الحقيقة^(٥٣). وهكذا لم تتم صياغة السياسة تجاه الزعامات العشائرية طبقاً للاعتبارات الايديولوجية الشيوعية، وانما على افتراضات براغماتية.

وربما كان السوفييت يفضلون التعامل مع الحزب القومي الكوردي بدلاً من الزعماء العشائريين. وعلى اية حال بدا بأنه ليس هناك، في هذه المرحلة، حزبٌ قويٌ بما فيه الكفاية لادارة مثل هذه العلاقات، ولذا اتبع السوفييت نهجاً ايجابياً تجاه الزعماء العشائريين. وكانت هذه العلاقات الجيدة تجري في البداية على اساس يومي Day-to-day. ان الحوادث [الجارية] على الاصعدة الكوردية والايرانية والدولية في القسم الاخير من الحرب استوجبت سياسة سوفيتية اكثر وضوحاً تجاه الكورد. وبرغم ذلك بقيت الزعامات العشائرية عنصر قوة مهم في الطور الاخير من الحرب ايضاً.

الكورد والايرانيون والقوى العظمى:

كانت منطقة الاحتلال السوفيتي في شتاء، ولاسيما ربيع، ١٩٤٢ مسرحاً لعدد من الانتفاضات المعادية للايرانيين في المناطق الكوردية. زُعم بان الكورد يهاجمون مراكز الجندرية خارج رضائية. وقد شارك الكورد بصورة رئيسية في هذه الحوادث، ولكن كان هناك اثوريون

وأرمن أيضاً. ووفقاً للحكومة الإيرانية كانت هذه الحوادث مرتبطة بسلوك السلطات السوفيتية المحلية في المنطقة. وقد ادعى وزير الخارجية الإيراني بأن حكومته قد انزعجت لما سماه «حركة انفصالية كردية - أرمنية - اثورية» يُفترض أنها مدعومة من قبل السوفييت وفضلاً عن ذلك زعم الإيرانيون أن الحكومة المركزية لا حول لها بالنسبة لهذه الحركة طالما أن السلطات العسكرية السوفيتية تمنع دخول القوات الإيرانية إلى المناطق المعنية^(٥٤). وفي الوقت نفسه ذكرت السفارة التركية في طهران، استناداً إلى معلومات استلمها من القنصل التركي في تبريز، بأن الكورد والأرمن والاثوريين شكلوا حزباً يُسمى حزب «التحرير». ووفقاً لهذه المعلومات فإن نشاطات الحزب قد ازدادت في كانون الأول ١٩٤١ وكانون الثاني ١٩٤٢. وفضلاً عن ذلك زُعم بأن النشاطات الكوردية المعادية للحكومة مدعومة من السلطات السوفيتية في منطقة الاحتلال السوفيتي. وعلى أية حال فإن الوزير البريطاني المفوض في طهران عبر عن تحفظاتٍ بخصوص دقة المعلومات التي صدرت عن الوزير الإيراني^(٥٥). ومهما يكن فإن النشاطات الكوردية والاثورية والأرمنية والدعم السوفيتي المزعوم قد ازعجا الممثلين البريطانيين في طهران والذين التقوا بالسوفييت بناءً على ذلك.

وكانت الحكومة التركية والممثلين البريطانيين في انقرة قلقين أيضاً من النشاطات في المنطقة السوفيتية في ضوء التطورات في كردستان العراقية. وكانوا مهتمين بأحتمال وجود علاقات متبادلة بين النشاطات الكوردية في هذين القسمين من كردستان الكبرى. وعلى أية حال فإن السفير البريطاني في انقرة أكد مجدداً لوزير الشؤون الخارجية التركي بأن الكورد في العراق تحت السيطرة بشكل جيد ويجب أن لا يكونوا مصدر قلق^(٥٦). وفضلاً عن ذلك فقد تم تظمين الأتراك بأن القائد التركي جلادت بدرخان، الذي كان يعيش في المنفى في سوريا حينذاك وهو من كردستان تركيا، أصدر في أحيان كثيرة تعليمات إلى الكورد في تركيا بعدم التسبب في أي اضطراب للحكومة التركية^(٥٧).

زعم الوزير [المفوض] الأمريكي في طهران لويس درايفوس بأن الاجراء العسكري ربما يكون ضرورياً لأنها الاضطرابات الكوردية^(٥٨).

وفي الوقت نفسه سعت السلطات السوفيتية إلى حل سلمي من نوع ما بين الكورد والسلطات الإيرانية. وفي ٢ أيار ١٩٤٢ التقى القنصل العام السوفيتي في تبريز، وقائد وحدة

الجيش الاحمر، وعدد من المسؤولين الايرانيين، والوجهاء الكورد في عسكر آباد، وهي قرية قرب رضائية.

وقد عرض الكورد سلسلة من المطالب في حين ناشد القنصل العام السوفيتي الكورد بالتفرق والعودة الى بيوتهم^(٥٩). ومع ذلك استمرت النشاطات الكوردية وتزايدت، تبعاً لذلك، قلق الحكومة الايرانية.

وقد نقل السفير الايراني في انقرة الى نظيره الامريكي مخاوف حكومته من الوضع في المناطق الكوردية، وذكر بأن السوفييت يُحرضون نشاط ما يقارب ٣٠٠٠ مسلح كوردي. وأكد السفير الايراني مجدداً بأن حكومته ترغب في ارسال قوات ايرانية الى المناطق الكوردية للسيطرة على الموقف^(٦٠). وكان الامريكان قلقين ايضاً ولذا فإنهم ناقشوا المسألة مع السوفييت. فقد اصدرت وزارة الخارجية الامريكية تعليمات الى الوزير [المفوض] الامريكي في طهران بان يُعبر للممثلين السوفييت عن رأي الادارة الامريكية ويحدد دواعي قلق الولايات المتحدة الامريكية وهي؛ ان قوى المحور كانت تحقق مكسباً كبيراً من الحوادث؛

في كوردستان طالما بإمكانها استغلال مسألة التورط السوفيتي في الشؤون الكوردية في حملة دعايتها. وان هذه الدعاية التي كانت موجهة بصورة رئيسية الى تركيا والعراق وايران ربما كان لها بعض الآثار السلبية على المجهود الحربي للحلفاء في انحاء المنطقة. وفضلاً عن ذلك فإن النشاطات الكردية قد تخلق صعوبات بالنسبة لخط الامداد الى الاتحاد السوفيتي عبر ايران. كما ان حياة وممتلكات الامريكان معرضة للخطر، وقد قُتلت زوجة مراسل امريكي في المنطقة الكوردية موضع البحث^(٦١).

تبنى رئيس الوزراء الايراني على سهيلي استراتيجية مزدوجة استهدفت ضمان عدم التدخل السوفيتي في الشؤون الكوردية، اذ سعى من جهة الى المساعدة الامريكية في اقناع السوفييت بالسماح للحكومة الايرانية بأرسال قواتها الى المناطق الكوردية^(٦٢). ومن جهة اخرى طلب سهيلي من فياجيسلاف مولوتوف، وزير الخارجية السوفيتي، اصدار تعليمات الى السلطات العسكرية السوفيتية في ايران بعدم مقاومة جهود القوات الايرانية المحلية لحفظ النظام^(٦٣). وفي الرد، الذي وصفه الرئيس الايراني بأنه يبعث على الرضى، ذكر مولوتوف بأن على السلطات السوفيتية التعاون مع الجهود الايرانية لأنها الانتفاضة واعادة السيطرة على

المنطقة(٦٤). ووافق السوفييت على اقامة ٢١ مخفر شرطة على الفور، يضم كل منها نحو ٢٠ جندياً سوفييتياً وما بين ٣ و٤ جندرمة ايرانيين، بين مدينتي رضائية وخوي. وعلى اية حال فإن التفاهم بين الايرانيين والسوفييت لم يترتب عليه اية امتيازات للكورد، وهو أمر اوضحه السوفييت(٦٥).

لقد كشف وزير الحربية الايراني بأن السوفييت قد وافقوا على السماح بدخول ٥٠٠ من افراد القوات الايرانية الى منطقة رضائية.

وأكد الوزير فيما بعد ان العدد الكلي للجنود الايرانيين الذين حصلوا على اذن سوفييتي لدخول المنطقة بلغ ١٥٠٠ جندياً(٦٦)، رغم اصرار الايرانيين على ان اعادة النظام يتطلب ٥٠٠٠ جندي(٦٧).

ويبدو، من خلال تحليل ادق، ان الطلب الايراني للتعاون السوفييتي في هذه المسألة كان، الى حد كبير، حركة تكتيكية مقصودة الغرض منها جر الامريكان اكثر الى مواجهة مع السوفييت. والواقع ان الحكومة الايرانية لم تكن تمتلك عدداً كافياً من الجنود لأرسالهم الى المناطق الكوردية. وكانت السلطات العسكرية السوفيتية قد طلبت، بمبادرة منها، من الحكومة الايرانية ارسال لواء الى تبريز، واجاب الايرانيون على الطلب بعدم توفير لواء لهذا الغرض(٦٨). ويجب النظر الى الطلب السوفييتي في ضوء المجهود الحربي ضد المانيا، والذي استلزم اعادة قوات سوفييتية الى ميدان الصراع في الوطن(٦٩). فضلاً عن ذلك فقد قيل بأن السوفييت يتبنون في واقع الأمر موقفاً اكثر صرامة تجاه الكورد ومن المحتمل كثيراً بأنهم سوف لن يعارضوا نزع اسلحة الكورد(٧٠).

* * *

حضرت السلطات السوفيتية المحلية في اذربيجان الايرانية اجتماعاً عقد في أواخر نيسان ١٩٤٢. وكان على وفد يتألف من مسؤولين ايرانيين وسوفييت اللقاء مع ١٢ من الشخصيات الكوردية البارزة قرب رضائية. وان الاكثر نفوذاً بين الممثلين الكورد كانوا نوري بگ وكامل بگ رؤساء عشيرة الهركي. وقد طلب القنصل العام السوفييتي من الممثلين الامريكان في تبريز المساهمة في المفاوضات، الا انه ليس هناك دليل على اي وجود امريكي في اللقاء. لقد عبر

اعضاء الوفد الكوردي عن مطالبيهم على النحو الآتي:-

- ١- ان لا تتواجد مراكز جندرمة في المنطقة الكوردية بين خوي ومهاباد .
- ٢- السماح للكورد بحمل السلاح.
- ٣- يجب سحب ١٢٠٠ بندقية قيل انها سُلمت الى القرويين الفرس في منطقة رضائية.
- ٤- ان يكون للكورد ممثل في كل دائرة حكومية في رضائية.
- ٥- ان يتمتع الكورد بالحرية في شؤونهم القومية الخاصة.
- ٦- على الحكومة الفارسية تهيئة المدارس في كوردستان، حيث يجب استخدام اللغة الكوردية فيها.

٧- اعادة بعض الاراضي المعينة الى مالكيها الاصليين الكوردستانيين[الكورد].

٨- يجب اطلاق سراح عشرين كردياً موجودين في السجن(٧١).

ليس هناك دليل على تأييد سوفيتي لهذه المطالب. وان هذه المطالب قد تمت صياغتها بعناية توحى بأن اولئك المسؤولين عنها كانت لديهم بعض المعرفة السياسية. ان الفقرات ١ . ٤ . ٥ . ٦ مترابطة بشكل منظم، وهي مطالب قومية من حيث السمعة. وان هذا يمكن ان يتطابق مع المتطلبات الاساسية اللازمة للحكم الذاتي. ومن غير الواضح ما اذا كان التمثيل الكوردي في اللقاء عشائرياً حصراً، ام كان يضم خليطاً ، من الزعماء العشائريين والعناصر القومية الحضرية. وعلى اية حال فأن رئيس الشرطة الايراني قد اكد بأنه جاء الى المفاوضات ليناقد فقط قضية نزع سلاح الكورد. وأشار بأن اية مطالب اخرى هي شأن يخص الحكومة المركزية. وكان القنصل العام السوفيتي ايضاً متردداً في وجه المطالب الكوردية. وكان شاغله الرئيسي قضية الأمن، لا سيما مسألة كيف واين يجب السماح للكورد بحمل الاسلحة(٧٢).

ان الممثلين البريطانيين في تبريز كانوا مهتمين بالتفاصيل الاضافية للمطالب الكوردية ويمدى التورط السوفيتي في الشؤون الكوردية. ولهذا فأن القنصل العام السوفيتي قد سُئل، اثر عودته الى تبريز، من قبل القنصل البريطاني. وقد ذكر القنصل العام السوفيتي النقاط ٢ و ٣ و ٨ فقط ورأى بأن المطالب الكوردية معتدلة. وفضلاً عن ذلك أكد لزميله البريطاني ان الكورد راغبون في نزع سلاحهم وبأن نزع السلاح هو شرط مسبق لتحقيق مطالبهم. لقد المح

القنصل البريطاني بأن لدى السوفييت الفرصة والقدرة على نزع سلاح الكورد، ورد عليه زميله السوفييتي بأن الإيرانيين سيكونون سعداء لرؤية الروس يقاتلون الكورد^(٧٣). ان المخاوف البريطانية من التطورات في المناطق الكوردية تعود جزئياً الى عدم قدرة الحكومة الإيرانية الواضحة على معالجة القضية بنجاح، كما تعود جزئياً الى الدور الذي ربما لعبه السوفييت في هذا السياق. وطبقاً لاستنتاجات توصل اليها مسؤولون بريطانيون فأن الوضع في المناطق الكوردية كان يشير الى ان السوفييت لم يلعبوا لعبة نظيفة جداً. فقد زُعم ان السوفييت، من خلال دعمهم للكورد، «يحاولون صيد السمك في مياه عكرة في شمال بلاد فارس وأنهم يراعون مصالحهم المستقبلية في المنطقة»^(٧٤).

بالرغم من الآمال بأن التطورات في الجزء الشمالي من كردستان ايران قد تتخذ وجهة ايجابية بعد اللقاء، الا ان الوضع استمر في التدهور.

وفي هذا الوقت قرر الإيرانيون ان يلبعوا ورقتهم البريطانية. ان الوزير [المفوض] الإيراني في لندن سيد حسن تقي زادة ناشد البريطانيين بالنيابة عن حكومته التدخل لاقناع الروس بالسماح للحكومة الإيرانية بأعادة فرض النظام^(٧٥). وابلغ السفير الإيراني في انقرة زميله الأمريكي قلق الحكومة الإيرانية بشأن التطورات في كردستان الإيرانية. وزعم بأنه رغم تمركز عدد كبير من القوات السوفيتية في اذربيجان فأنهم لم يفعلوا شيئاً لثنى الكورد. والحقيقة، زُعم ان السوفييت برفضهم السماح للقوات الإيرانية بدخول المناطق الكوردية انما يشجعون التمرد. وفضلاً عن ذلك يُظن بأن الممثلين الإيرانيين قد اقاموا سابقاً اتصالات مباشرة مع خوزيف ستالين حول المسألة^(٧٦).

* * *

اعلنت السلطات التركية موقفها الرسمي في ضوء اعتبارات عديدة هي، التأثيرات التي يمكن ان تتركها الحوادث على كردستان تركيا في النهاية؛ والدور الذي لعبه السوفييت في ايران؛ والتعاون المحتمل بين الكورد الإيرانيين وكورد تركيا؛ واخيراً الزيادة المحتملة للنفوذ السوفييتي في المنطقة^(٧٧).

وابلغت السلطات التركية السفارة البريطانية في انقرة بأن مسلحين كورد قد آثاروا اعمال

عنف في كردستان الشمالية قرب الحدود التركية. وقد أكد بأن الجندمة كانوا عاجزين عن كبح الكورد، وبأن السوفييت متورطون بشكل فعال في الانتفاضة من خلال تسليح، وتجهيز، وقيادة الكورد (٧٨).

ورأى: البريطانيون ان المخاوف والمزاعم التركية قد تأثرت بجهود دوائر الدعاية التابعة لدول المحور والتي نشرت اشاعات عن تمرد ملهم من قبل السوفييت في اذربيجان، حيث اعلن الكورد والمتمردون الاخرون [قيام] جمهورية سوفييتية (٧٩). وتم التأكيد ايضاً بأن الاشاعات ليست بلا تأثيرات تماماً ويجب مواجهتها (٨٠). لقد بدت المخاوف التركية انعكاساً لقلق الاتراك الدائم من كل التطورات في كردستان الايرانية.

ولذا فأنهم بالغوا في مدى الحوادث بتصويرها كثورة كوردية شاملة (٨١). وفي الختام فأن الحكومة التركية بالغت في تقدير التهديد الذي تشكله النشاطات الكوردية في ايران على امن تركيا. والواقع انه ليس هناك، في هذا الطور من الحرب، دليل على اتصالات مهمة منظمة سياسياً بين كورد تركيا وكورد ايران. ان الاتصالات التي حدثت بين العشائر الكوردية عبر الحدود الرسمية لأيران وتركيا هي من نوع الاتصالات التقليدية القائمة منذ أمد بعيد. واطافة الى ذلك ليست هناك اشارة محددة عن اي تورط سوفييتي في دعم الكورد في هذا السياق. ويبدو ان السوفييت كانوا غير متحيزين رغم ان موقفهم في الاحداث كان غامضاً.

استمر الايرانيون في التأكيد بأن على السوفييت ان يشتموا الكورد بأنفسهم او يسمحوا للسلطات الايرانية بحل المسألة اما عن طريق التفاوض او جلب القوات من الجنوب (٨٢). وفي الحقيقة يبدو ان الحكومة الايرانية لم تكن راغبة في التفاوض مع الكورد، ولا كانت قادرة على معالجة الحالة بالوسائل العسكرية. وكان السوفييت مقتنعين بأن كلاً من الايرانيين والاتراك يبالغون في شأن الانتفاضة، وخاصة الدور الذي لعبته السلطات السوفييتية بالنسبة للانتفاضة (٨٣).

وفي حين تحدث الايرانيون بشكل متواصل عن تورط سوفييتي في الانتفاضة، فأنهم رفضوا الاعتراف بأن البطالة، والركود الاقتصادي، والافتقار الى الثقة في الحكومة، كانت عوامل اساسية وراء تفاقم الوضع سوءاً في الجزء الشمالي من كردستان الايرانية (كوردستان

الشمالية من الآن فصاعداً^(٨٤). والواقع ان الحكومة الايرانية كانت اضعف من ان تعالج الظلم او ابقاء العشائر قيد النظام^(٨٥).

سعى عدد من افراد العشائر الكورد الى استغلال حالة التشوش السائدة وضعف الحكومة المركزية. وكانت العشائر تتميز منذ أمدٍ طويلٍ بميل الى عدم الخضوع لسيطرة القانون، والانتفاض ضد الحكومات المركزية الضعيفة، والامتناع عن دفع الضرائب، وتحدي النظام السائد^(٨٦).

ان هذا لايعني ضمناً بأن العشائر ليست لها شكاوى مشروعة بل الأخرى انها تعكس مظالمهم الواقعية وسخطهم. ان الانتفاضة كانت مؤشراً على ضعف في مقدرة الحكومة في التغلب على مشكلات الشعب، سواء كأفراد او جماعات. وفضلاً عن ذلك فأن الحكومة اقتصرت في محاولاتها للتعامل مع الكورد ومشاكل الاقليات الاخرى على اساليب القمع والاجراءات البوليسية^(٨٧). واثناء الانتفاضة في كوردستان الشمالية طرح الزعماء العشائريون مطالب قومية على الحكومة المركزية بالاضافة الى الاهداف التقليدية للعشائر.

نظرت الحكومة البريطانية الى شكاوى العشائر بوصفها مسألة يجب ان تُدرس وتُحل من قبل الحكومة الايرانية التي كان البريطانيون قد أحووا عليها للتوصل الى تسوية عادلة وودية^(٨٨). وقد عين «المجلس» لجنة تألفت من وزير العدل وشخصيات اخرى ذات مناصب عليا^(٨٩) في ٣١ آذار ١٩٤٢.

وكان هدفها المعلن هو معالجة الشكاوى العشائرية. وفي الوقت نفسه كانت السفارة البريطانية في طهران تضغط على الحكومة الايرانية من اجل اصدار اعلان سياسي يجب ان يتضمن اصلاحات معينة تخص العشائر^(٩٠). وفي استجابة واضحة للطلب البريطاني القى رئيس الوزراء اعلاناً امام «المجلس» في ٣١ آذار اوضح فيه ان بعض شكاوى العشائر، في الاقل، لها ما يبررها وبأن الحكومة الايرانية ملزمة بمعالجة هذا الاستياء. وكانت الاجراءات المقترحة ستشمل اصلاحات في مجال القضاء والصحة والتعليم. وعلى اية حال فأن الحكومة الايرانية لم تتخذ خطوات لتنفيذ تلك الاجراءات، وهكذا تركت البريطانيين وهم ساخطين^(٩١). وفي مسعى لتشجيع الاصلاح والسياسة الاسترضائية تجاه الكورد ناشد القنصل البريطاني في كرمشاه كلاً من السلطات الايرانية والكورد لتجنب اطالة امد الصراع

وايجاد تسوية معقولة(٩٢). وحاول الممثلون البريطانيون في كرمنشاه اقامة اتصالات بين السلطات الايرانية والكورد، وحاولوا اقناع السلطات الايرانية بالتعامل مع الكورد بدون عنف. رغم اية حال فأنهم اكدوا في الوقت نفسه سياسة عدم التدخل البريطانية، رغم انه كان واضحاً انه ليس هناك امل في استرضاء كوردستان دون تدخل بريطاني في المسألة(٩٣).

* * *

لم يتخذ الامريكان موقفاً واضحاً تجاه الانتفاضة في كوردستان، بل انهم اصدروا اشارات مختلفة، بل وحتى متضاربة. لقد زعمت المفوضية الامريكية في طهران بأنه ليست للعشائر الكوردية التي اشتركت في الانتفاضة شكاوى عادلة(٩٤). ومع ذلك وصفت المفوضية ايضاً موقف الحكومة الايرانية ازاء الكورد بكونه بعيداً عن ان يكون استرضائياً، ولاحظت بأن الحكومة لم تفعل شيئاً لتهدئة الكورد. وفي حين ان المفوضية لم تستطع الجزم بأن موقف الحكومة الايرانية كان خاطئاً، فأنها زعمت بأن المشكلة الكوردية كانت «نسيج وحدها Sui generis تماماً ويجب ان تُفهم بعناية متناسبة مع خلفيتها»(٩٥). كانت الدوائر العسكرية تميل الى قبول الحل العسكري، ولهذا اكدت بأن الوضع سوف لن يتحسن ما لم يتم ارسال قوات قوية الى المناطق الكوردية، وان يتولى السوفييت مسؤولية الأمن فيها(٩٦). ولاحظت المفوضية الامريكية في طهران ان هناك عقبتان رئيسيتان تعترضان سبيل العمل العسكري في كوردستان، الاولى هي الرفض السوفيتي السماح للقوات الايرانية بدخول المنطقة الكوردية في منطقة الاحتلال السوفيتي، والثانية المعنويات المتدنية للقوات الايرانية في قتال الكورد، ليس فقط ضمن المنطقة السوفيتية بل في المنطقتين البريطانية والمحايمة ايضاً(٩٧). ولا يبدو ان الدور السوفيتي في منع القوات الايرانية من دخول كوردستان كان عاملاً حاسماً في عدم القدرة الايرانية على تأكيد سيطرة كاملة على كوردستان. ويبدو ان الحكومة الايرانية اكدت على العلاقة السوفيتية في محاولة منها لجر الامريكان الى الشؤون الايرانية. وكانت الحكومة المركزية تأمل بأن الامريكان والبريطانيين سيمارسون ضغطاً دبلوماسياً على السوفييت، وهكذا يوفرون هذه المهمة على السلطات الايرانية. ان السفير السوفيتي في طهران المح لنظيره الامريكي بأن الايرانيين لفقوا بعض تفاصيل الأزمة لأجل اجبار السلطات السوفيتية على

السماح للقوات الإيرانية بدخول المناطق المعنية، وزعم بأن الادعاءات الإيرانية تعكس غايات الإيرانيين لدفع المسألة إلى الواجهة^(٩٨). وعلى أية حال فإن النهج الإيراني نجح في إشراك الأميركيين فيما كان يُعرف أصلاً بأنه شأن إيراني داخلي. ولاحظ الوزير [المفوض] الأمريكي أن الرفض السوفيتي لدخول القوات الإيرانية يعكس تكتيكاً تقليدياً لبقاء القوات الإيرانية خارج المنطقة. ورأى بأن على الحكومة الأمريكية «أن تدعم الإيرانيين في موقفهم إلا إذا استطاع السوفييت أن يُثبتوا، وهذا ما لم يفعلوه بعد، أن هناك دافع عسكري هام يبرر بان مثل هذا الاجراء سيكون امراً ضاراً بقضية الحلفاء»^(٩٩).

إن المزايم الإيرانية بأن السوفييت كانوا مسؤولين عن الضعف الإيراني في التعامل مع الحالة في كردستان لا أساس لها. وكما سبق الذكر، فإن الجيش الإيراني كان لا يزال في حالة تفكك وفساد، ولم يكن بمقدوره السيطرة على كل المنطقة المعنية. وقد توصل تحليلٌ من قبل المفوضية الأمريكية في طهران حول الأوضاع في كردستان الإيرانية إلى أن المسؤولية تقع على عاتق الإيرانيين أنفسهم: «أن كسلهم وروحهم الانهزامية... وميلهم إلى التلاعب بالسياسة على حساب الإضرار بالعمل الجاد، قد منع تنفيذ سياسة ذكية وفعالة»^(١٠٠).

إن عدم قدرة الحكومة الإيرانية على ضمان سلطتها في المناطق الكردية والمناطق الأخرى يرجع في الأساس إلى عوامل متعددة، وهي انهيار معنويات الجيش الإيراني كنتيجة مباشرة للاحتلال الأنكلو - سوفيتي لأيران؛ وغياب القيادة الكفوءة والفعالة، والافتقار إلى القدرة على الحركة بسبب عدم الكفاية في المواصلات والنقل؛ وضعف السلطات المحلية؛ وأخيراً النقص الشديد في الطعام والذي جعل من الصعب السيطرة على الجماهير^(١٠١). وقد أكد الشاه على نفس النقطة في محادثة مع موظفي المفوضية الأمريكية في طهران^(١٠٢).

واصلت الحكومة الإيرانية تركيز الانتباه على كل حدث في المنطقة التي يسيطر عليها الجيش السوفيتي، بينما قللت من شأن الأحداث في مناطق أخرى من كردستان. وكما ذكر سابقاً، كان واضحاً أن الإيرانيين عملوا على التأكيد على الخطر السوفيتي في محاولة لجر الأميركيين إلى الشؤون الإيرانية. وكانت هذه السياسة الإيرانية مُحصلة لما سُمي بسياسة التوازن السلبي «سياستي موازنيء منفيء»^(١٠٣)، والتي ميزت الكثير من سياسة إيران الخارجية في القرن العشرين. وتهدف هذه الاستراتيجية إلى استخدام قوةٍ ما لموازنة نشاطات

القوى الاخرى، او لتعمل بمثابة عامل موازنة بين قوى اخرى. وطبقاً لذلك كان الايرانيون يأملون بأن تدخلاً امريكياً متزايداً يمكن ان يعمل كحاجز او كمعادل للضغوط السوفيتية والبريطانية، رغم ان الهدف الايراني في هذا السياق كان إحداث صدام بين الامريكان والروس، وخلافاً لذلك فأن المرء قد يتساءل لماذا لم تؤكد الحكومة الايرانية على الانتفاضات التي حصلت في الاقسام الكوردية التي تقع خارج المنطقة السوفيتية.

لقد تم التأكيد على ان الانتفاضات والفوضى اكتسحت كل انحاء كوردستان الايرانية(١٠٤). ان مثلاً على هذا التطور كان ثورة حمه رشيد خان سابقاً في ايلول ١٩٤١ والتي نتج عنها سيطرة قوات التمرد على مدن بانه وسافز وسردشت. واحتفظ الخان بسيطرة كاملة على مدينة بانه حتى نهاية ايلول ١٩٤٤. ان الروح المعنوية الهابطة للجيش الايراني كانت السبب الرئيسي لنجاح رجال حمه رشيد خان(١٠٥). وكان قائد التمرد مسؤولاً كلياً عن ادارة مدينة بانه والمناطق المحيطة بها. ومهما يكن فأن حركة حمه رشيد خان لم تكن اكثر من تمرد عشائري تقليدي ضد السلطات الايرانية. وقد طُرد الخان الى العراق من قبل الجيش الايراني لكنه عاد في عام ١٩٤٥ ليطلب اداء دور لاحق في الشؤون الكوردية في ايران(١٠٦).

* * *

وبينما تواصلت الانتفاضة في منطقة الاحتلال السوفيتي في كوردستان الشمالية، كانت هناك مصادمات أيضاً بين الكورد والجيش الايراني في المنطقة البريطانية. وعلى اية حال فأن المشير(الفيلد مارشال) شابختي، وهو الضابط المسؤول عن القيادة، واحد اثنين من اعلى الضباط مرتبة في الجيش الايراني، ذكر بأنه اجري محادثات مع زعيم كوردي هو كريم بگ الذي قدم المطالب الكوردية الآتية:-

١- سيُسمح للموظفين الايرانيين[بالعمل] في كوردستان.

٢- يجب ان يشغل الكورد الوظائف ومراكز الجندرية.

٣- فتح مدارس في كل المناطق[الكوردية] حيث ستكون الدراسة فيها بالكوردية، وبالفارسية كذلك.

٤- ان يكون للكورد كل الحقوق القانونية التي يتمتع بها الفرس بما في ذلك التمثيل في المجلس.

٥- برنامج لشق الطرق بحيث يمكن تسويق المحصول [الزراعي] (١٠٧).

ان شابختي تفاوض مع الكورد ، رغم انه نفسه تبني سياسة متشددة تجاههم. وقد زعم بأنه كان مضطراً تقريباً للتشاور لان وضعه الحالي كان أضعف من ان يخاطر بمزيد من الاعمال العدائية (١٠٨): ولهذا فأن المفاوضات لا تشير الى رغبة صادقة لدى الحكومة المركزية لحل القضية الكوردية. وعلاوة على ذلك فأنهم كانوا يؤكدون بأن الحكومة المركزية كانت غير قادرة على تنفيذ حل عسكري فعال للانتفاضة في كردستان. ان الموقف الدقيق للحكومة ورد فعلها تجاه المطالب الكوردية غير واضحة. ومع ذلك، فمن المحتمل انه لم يكن لدى شابختي والحكومة المركزية بديل سوى استئناف المفاوضات طالما ان ضعف وعدم كفاءة الجيش الايراني كان امراً واقعاً. ولذا فأن المشاورات، على اكثر احتمال، مثلت اجراءً ايرانياً تكتيكياً غرضه كسب الوقت.

* * *

في ضوء الصعوبات التي واجهتها في الحفاظ على النظام، وخاصة في كردستان، تطلعت الحكومة الايرانية الى الدعم المالي والعسكري من الولايات المتحدة الامريكية. وكان موقف وزارة الخارجية البريطانية ايجابياً تجاه هذا الأمر (١٠٩). لقد نوقشت المسألة في ضوء القلق البريطاني الامريكي من ان اي انعدام للنظام في ايران يهدد سلامة طريق امدادات الحلفاء الى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية (١١٠). وهكذا كان لدى الولايات المتحدة الامريكية الآن سبب اضافي لتغيير سياستها في ايران ان الحوادث في كردستان الايرانية كانت قد دفعت حكومة طهران سابقاً الى طلب المساعدة الامريكية لتحسين [حالة] الجندمة. وفي الوقت ذاته ازدادت التوترات السوفيتية - الايرانية لان الانتفاضة في كردستان الايرانية ادت الى احتجاجات ايرانية مستمرة ضد الحكومة السوفيتية (١١١).

الكورد والعلاقات فيما بين القوى العظمى:

اثناء الحرب العالمية الثانية هيأت حالة ايران فرصة فريدة لتنفيذ مبادئ التعاون بين الحلفاء^(١١٢). فبعد وقت غير طويل من الاحتلال الانكلو - سوفيتي بدا بأن كلاً من البريطانيين والسوفييت يتبعون اتجاههم الخاص بهم فيما يتعلق بالسياسة ازاء ايران والشؤون ذات العلاقة. وفي الايام التي تلت الاحتلال مباشرة كان البريطانيون يلاحظون عن قرب النشاطات السوفيتية في منطقة الاحتلال السوفيتي.

ولم يُخف اي من الطرفين شكوكه ازاء الآخر. فالبريطانيين، على سبيل المثال، كانوا قلقين من الدعم السوفيتي المزعوم للحركات الانفصالية الكوردية والأذرية. ولهذا أُبلغ ايدن السفير السوفيتي لدى بريطانيا العظمى مايسكي بأن اي تدخل لا مبرر له في الشؤون الايرانية، او التعاطف مع الحركات الانفصالية سيكون ضاراً جداً^(١١٣).

ان الامريكان اكدوا بدورهم عدم وجود تورط سوفيتي فعال في الحركات الانفصالية، وبأن السلطات السوفيتية لم تشجع، في واقع الحال، مثل هذه الاتجاهات في الطور المبكر من الاحتلال^(١١٤). ومن جهة اخرى زعم الامريكان ايضاً بأنه كانت هناك نشاطات سوفيتية مقلقة في شمالي ايران. وقُدمت مقترحات لاعادة تنشيط المدارس التبشيرية الامريكية هناك لاجل مواجهة النشاطات السوفيتية، وان هذا الامر نوقش سابقاً في وزارة الخارجية الامريكية في خريف ١٩٤١. وكان هدف المقترح موازنة الاجراءات السوفيتية بسبب المخاوف من ان السوفييت يعملون على تقوية مركزهم في المنطقة الخاضعة لاحتلالهم. وهكذا كان على النشاطات التبشيرية الامريكية ان تعمل بمثابة نفوذ كابح للتحركات السوفيتية التي ترمي الى «سفتتة - Sovitise» تلك المنطقة^(١١٥). وعلى اية حال فإن اندرية فيشنسكي، نائب وزير الخارجية السوفيتي، قد اكد للسفير الامريكي في موسكو بان السلطات السوفيتية في شمالي ايران لا تتعاطف مع اية حركة انفصالية، كما صرح ايضاً بأن أية دعاية مغايرة لذلك مصدرها الالمان. وأكد فيشنسكي بأن السلطات السوفيتية في شمالي ايران مهتمة بشكل رئيسي بحفظ القانون والنظام^(١١٦):

لقد لعبت الحكومة الايرانية دوراً مهماً في هذا السياق ففي تعاملهم مع الثلاثة الكبار كان

اليرانيون يمارسون سياسة التمييز ضد السوقية بشكل خاص، والذين اعتبروا المشكلة الاكثر من بين القوى [العظمى]. ففي وقت مبكر من تشرين الاول ١٩٤١ ابلغ الشاه الوزير [المفوض] الامريكي في ايران بأنه لا يعارض الاحتلال البريطاني بينما يعارض، في الوقت نفسه، الاحتلال السوقية بشدة لأنه سيكون ذو تأثيرات كارثية على ايران (١١٧).

والواقع انه ليس هناك دليل على اي دعم سوقية للحركات الانفصالية في اذربيجان وكوردستان خلال السنوات الاولى من الاحتلال، اي بين عامي ١٩٤١-١٩٤٣. لقد كان السوقية يتطلعون بشكل رئيسي في ذلك الحين الى ضمان علاقات ودية مع مختلف الجماعات في منطقتهم.

ان التقارير الواردة من مصادر مختلفة توحى بأن هذه المنطقة قد خبرت فترة انعدام النظام. لقد سلحت العشائر نفسها اثر تفكك الجيش اليراني واصبحت الآن في نزاع مع السلطات اليرانية (١١٨).

وفي سبيل اعادة درجة معينة من النظام فضل السوقية ان يكونوا على علاقات جيدة مع العشائر، وان يتبنوا موقفاً استرضائياً ازاء الكورد، وسكان شمالي ايران عموماً. ومن المحتمل ان سياسة التهدة هذه قد فُسرّت من قبل الحكومة اليرانية كدعم سوقية للعشائر.

الفصل الخامس

القوى العظمى والكورد: الطور الثاني

١٩٤٤-١٩٤٥

- اصول الحرب الباردة.

- سياسة الولايات المتحدة في ايران والكورد.

- الازمة النفطية الايرانية - السوفيتية.

- السياسة الكوردية للاتحاد السوفيتي.

- الكورد، الايرانيون، والقوى العظمى.

اصول الحرب الباردة:

ان اكثرية الباحثين الذين تناولوا موضوع الحرب الباردة تبينوا وجهة نظر متمركزة حول أوروبا Euro centric، وهم يرون بان اصل الظاهرة كان في المانيا واوروبا الشرقية. وبدلاً من ذلك فأن بروس كونهولم يقدم حججاً في كتابه الذي صدر عام ١٩٨٠ بعنوان «اصول الحرب الباردة في الشرق الادنى» بأن الحرب الباردة تمت في الشرق الاوسط، او طبقاً للعنوان الفرعي لكتابه، في ايران وتركيا واليونان^(١). ان كون النزاعات حول الشرق الاوسط وشرقي البحر المتوسط قد لعبت دوراً مهماً في بدء الحرب الباردة امر لا يمكن انكاره^(٢). اما مؤرخو[العلاقات] الدبلوماسية والباحثين، على اختلاف آرائهم، فهم متفقون بأن الازمة الايرانية عام ١٩٤٥-١٩٤٦ كانت حرجة في الطور الاول من الحرب الباردة^(٣).

ان اجتياح الحرب الباردة قد حُل من قبل عدد من الدبلوماسيين. و قد تمت معالجة الموضوع ايضاً من قبل العديد من الباحثين، لا سيما المؤرخون والمتخصصون في العلوم السياسية. وقد زعم العديد من المسؤولين الامريكان في تلك الفترة بأن العنصر الرئيسي في ولادة الحرب الباردة كان استجابة الولايات المتحدة الامريكية للمحاولات السوفيتية الرامية الى الهيمنة

على ايران(٤). ان روبرت ميسر(*) درس عملية صنع القرار السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية في سياق بداية الحرب الباردة ويدعي ميسر ان فهم قرار الولايات المتحدة الأمريكية بـ«احتواء» الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية يتطلب نظرة أدق في تطورات صنع السياسة في وزارة الخارجية الأمريكية اثناء شتاء ١٩٤٥-١٩٤٦. وقد بلغت العملية ذروتها في برفية جورج كينان الشهيرة التي بعثها من موسكو الى واشنطن في ٢٢ شباط ١٩٤٦. ووفقاً لميسر فان سياسة «الاحتواء»، استناداً الى مقترحات كينان، قد تم تبنيها بترو في وقت مبكر من عام ١٩٤٦(٥). ويرى غارى هيس ان الاستجابة الأمريكية للآزمة الإيرانية ادت الى اعادة توجيه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتي، وترتب على ذلك تحولاً من «التهدة» الى «الحزم». ويستنتج هيس بأن العوامل الأساسية وراء الأزمة هي رفض الاتحاد السوفيتي سحب قواته من شمال ايران، والتشجيع السوفيتي للحركات القومية في كردستان واذريجان الإيرانية(٦).

ومن وجهة نظر تنقيحية(**) فأن هواجس الأمن السوفيتي قد رُفِضت من قبل الامريكان الذين طبقوا سياسة «الباب المفتوح» على ايران. ووفقاً لهذه المدرسة الفكرية فأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف لن تتسامح ازاء اي نفوذ سوفيتي في المنطقة، وهكذا مارست ضغطاً قوياً لاجبار السوفييت على سحب قواتهم من شمالي ايران(٧).

ووفقاً لستيفن مكفارلاند فأن كلاً من موقفي السوفييت والولايات المتحدة الأمريكية متأصلان جزئياً في أفعال السلطات المركزية الإيرانية وجماعات إيرانية متعددة، اي حزب توده والاذريين والكورد. ان كلاً من الحكومة المركزية الإيرانية والاذريين والكورد سعوا الى استغلال النزاعات الداخلية بين الحلفاء لمنفعتهم الخاصة. ويؤكد مكفارلاند ان عدم الاستقرار الداخلي في ايران جذب تدخل القوى العظمى، وكان هذا عنصراً من العناصر في نشأة الحرب الباردة(٨). ان هذا التدخل، على اية حال، لم يحدث في فراغ، فقد كان لكل من الولايات

(*) R. Messer

(**) أو تعديلية Revisionist.

المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي مصالح اقتصادية واستراتيجية في المنطقة.

ويرى ريتشارد كوتام انه بغض النظر عن طبيعة الاهداف السوفيتية في دعم الاذريين والكورد في ايران، فإن هذه السياسة ادت في الواقع الى ازمة دولية في عام ١٩٤٦^(٩). وزعم احد الباحثين ان ازمة ١٩٤٥-١٩٤٦ قد تعززت بالدعم السوفيتي للحركات القومية الكوردية والاذرية، والمساعدة السوفيتية لهاتين الجماعتين في اقامة جمهوريات (في اواخر ١٩٤٥ واولئ ١٩٤٦ على التوالي). وبأن السوفييت سعوا بهذه الصورة الى تعزيز مصالحهم الخاصة في ايران^(١٠). وزعم مارك كاسيروفسكي، على سبيل المثال، بأن وجود القوات السوفيتية في شمالي ايران كان عاملاً اساسياً في ظهور الحرب الباردة^(١١).

كان الكورد في ايران في اواخر ١٩٤١ وبداية ١٩٤٢ عنصراً مهماً في العلاقات فيما بين الحلفاء في ايران، وفيما بينهم وبين ايران كذلك.

ويجب ادراك دور الكورد في هذا الاطار، لان من المستحيل، خلافاً لذلك، فهم خلفية ازمة ١٩٤٥-١٩٤٦ الايرانية وتطور الحرب الباردة في ايران.

بالرغم من سيادة التعاون الوثيق بين الثلاثة الكبار في ايران خلال الحرب العالمية الثانية، فإن أبعاد المنافسة والشكوك المتبادلة كانت موجودة ايضاً، واسهم هذا في المناخ السياسي الذي شجع الحرب الباردة. والواقع، كما زعم جون كامبل من قبل، ان الحرب الباردة كانت قد بدأت قبل انتهاء الحرب العالمية بوقت طويل^(١٢).

ان كلا من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى 'طوروا' تصورات حول السياسات والمصالح والادوار المستقبلية في ايران^(١٣). وقد استخدمت القوة العسكرية السوفيتية كاداة للتدخل في الشؤون الداخلية الايرانية من خلال تقديم الحماية للحركات الكوردية والاذرية الرامية الى اقامة الحكم الذاتي، والى الجمهوريتين المستقبليتين ذاتياً فيما بعد، بصورة رئيسية. وفي الوقت نفسه أصرت اطراف اخرى، لاسيما ايران والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى والامم المتحدة، على الانسحاب الكامل للقوات السوفيتية من ايران. ولهذا يجب وضع الصراعات بين الجماعات المتنوعة والحكومة المركزية من جهة، وفيما بين القوى 'العظمى' نفسها من جهة اخرى، في نفس الاطار ويجب تحليل القضية الكوردية في ايران، خلال الفترة قيد الدراسة، ضمن هذا السياق.

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في إيران والكورد:

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بأبداء اهتمام سياسي بأيران في بداية القرن العشرين^(١٤). وكان موقف الإيرانيين ايجابياً أزاء هذا الوجود [الأمريكي]، فقد نُظر الى المستشارين [الأمريكان] بوصفهم ممثلين لـ«قوة ثالثة» يمكن ان تعمل بمثابة حاجز محايد بين بريطانيا العظمى وروسيا، او كثقل مضاد يمكن ان يقوي مركز ايران في وجه المحاولات البريطانية والروسية للهيمنة^(١٥).

سبق وان جرت مناقشات في الدوائر الرسمية الأمريكية بخصوص صياغة سياسة الولايات المتحدة تجاه ايران بعد وقت قصير من الغزو الانكلو - سوفيتي لأيران. وقد مُنح اعتبار رئيسي للمصالح الاقتصادية الأمريكية في البلاد. وفي تشرين الثاني أ قدم قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأمريكية توصية بأن المفاوضات التجارية المتوقفة بين ايران والولايات المتحدة الأمريكية يجب ان تستأنف «لأسباب ذات نفع سياسي، ولأجل ضمان المصالح التجارية الأمريكية في ايران في فترة مابعد الحرب». وقد أيد وزير الخارجية الأمريكي هذا الرأي، وكذلك فعل مساعد وزير الخارجية ومسؤولون آخرون^(١٦). وكانت الجهود الأمريكية لأستئناف المفاوضات التجارية ذات علاقة بالسياسات السوفيتية في ايران، لان الأمريكان رغبوا في تعزيز مركز الإيرانيين في مواجهة الاتحاد السوفيتي^(١٧).

* * *

بعد دخول القوات الانكلو - سوفيتية الى ايران اتصل ونستون شرشل بالرئيس الأمريكي روزفلت طالباً مساعدة الولايات المتحدة لتجهيز المعدات لسكة الحديد الممتدة عبر بلاد فارس [من الجنوب الى الشمال] والتي تُنقل بواسطتها مساعدات الاعارة والتأجير - Lend-Lease الى الاتحاد السوفيتي. ووفقاً لذلك وصلت البعثة الإيرانية العسكرية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية U.S. Military Iranian Mission الى الخليج الفارسي [العربي] في تشرين الثاني ١٩٤١ [للاشراف على مساعدات] الاعارة والتأجير، اي قبل الهجوم [الياباني] على ميناء بيرل هاربر^(١٨). وقد تم اتخاذ هذه الخطوة لأجل ضمان وصول الامدادات الأمريكية الى الاتحاد السوفيتي^(١٩).

ان احد العناصر المهمة في سياسة الولايات المتحدة في ايران هو الوجود العسكري الامريكى في هذا البلد، والذي تألف من ٣٠.٠٠٠ رجل. وكان هذا الوجود اقل بكثير من مدى الوجود العسكري السوفيتى والبريطانى. وكانت القيادة الفارسية Persian Command فعالة في تسهيل النقل في ايران، وتوزيع [مساعدات] الاعارة والتأجير الى ايران، وادارة ارسال مساعدات الاعارة والتأجير الى الاتحاد السوفيتى. وقد تمتعت الولايات المتحدة بمركز مُرضٍ في ايران مقارنة بمركز الاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى. ويرجع هذا بصورة رئيسية الى الدور الفعال للبعثات الأمريكية التي دُعيت الى ايران [للعمل] في مجالات المالية والادارة والقوات المسلحة^(٢٠). فضلاً عن ذلك فأن السلطات الايرانية فضلت الوجود الامريكى على الوجود البريطانى، ولا سيما على الوجود السوفيتى، وان هذه الحقيقة استُغلت لصالح الامريكى.

كان الوجود العسكري الامريكى في ايران مؤشراً على التخلي عن السياسة الامريكية التقليدية تجاه الشرق الاوسط^(٢١). وان نشر القوات الامريكية في ايران كان انعكاساً للمصالح الامريكية النامية في الشرق الاوسط، مع التركيز على ايران^(٢٢). وكما صرح كورديل هول فأن ايران حظيت بأهتمام امريكى اكثر من اي بلد آخر في الشرق الأوسط^(٢٣). وعلى اية حال فأن بعض المسؤولين الأمريكان كانوا لا يزالون في شك حول ما اذا كانت للولايات المتحدة اية مصالح يمكن تبريرها في ايران.

وقد قيل ايضاً ان المصلحة الامريكية الوحيدة في الشرق الاوسط تكمن في امتيازات النفط والتي لم تكن تقع في ايران بل في جزر البحرين في واقع الحال^(٢٤).

يدعى جورج لنشوفسكي ان الاعتبارات الايديولوجية شكلت جوهر السياسة الامريكية الإيثارية في ذلك الوقت. ويزعم لنشوفسكي بأن السياسة الامريكية تجاه ايران قد رُسمت على اساس «مبادئ نبيلة مثل احترام وحدة الأراضي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والاستعداد لتقديم المساعدات الاقتصادية والاستشارة، ومبدأ الباب المفتوح»^(٢٥). لقد اخفق لنشوفسكي في ملاحظة وجود مصالح اقتصادية وسياسية امريكية ملموسة في ايران. صحيح ان كلاً من الشاه ورئيس الوزراء الايراني ناشدا الولايات المتحدة من اجل الدعم للحفاظ على سيادة ووحدة أراضي ايران، زاعمين بأن الامريكى ليست لديهم غايات انانية يعملون على

خدمتها في إيران (٢٦)، ولكن يجب، على أية حال، النظر إلى الحفاظ على السيادة ووحدة الأراضي في ضوء المصالح الأمريكية في إيران. إن طبيعة الاعتبارات الأمريكية، الأيديولوجية منها والعملية، بالنسبة لإيران قد نوقشت في مذكرة مرفوعة من كورديل هول إلى الرئيس روزفلت في ١٦ آب ١٩٤٣. وقد أكد هول على منافع ضمان الاستقلال ووحدة الأراضي والاستقرار في إيران. وفضلاً عن ذلك إدعى هول بأن من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية «أن لا تتمركز أية قوة عظمى على الخليج العربي في الجهة المقابلة للمصالح النفطية الأمريكية المهمة في المملكة العربية السعودية» (٢٧). ولاحظت وزارة الخارجية الأمريكية أهمية إيران الاستراتيجية من زاوية الأهداف الأمريكية في شبه الجزيرة العربية (٢٨). واعترف الرئيس روزفلت ووزارة الخارجية الأمريكية منذ وقت مبكر مثل عام ١٩٤٣ بأن إيران حيوية في هذا الإطار.

لقد شكلت إيران حاجزاً بين الاتحاد السوفيتي والمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط (٢٩). وسبق وأن وجد الرئيس روزفلت في (١١) آذار ١٩٤٢ أن الدفاع عن إيران أمر حيوي للولايات المتحدة الأمريكية (٣٠). وزعم أن إيران مؤهلة لهذا السبب [للحصول على] مساعدات الإعارة والتأجير.

ورأت وزارة الخارجية الأمريكية أن وجوداً عسكرياً أمريكياً في إيران سيسهم في تعزيز مركز الولايات المتحدة في إيران، وبناء أساس صلب للعلاقات المستقبلية. ووفقاً لذلك وصلت عدة بعثات أمريكية إلى إيران خلال عام ١٩٤٢ (٣١). وقد اتخذ الأمريكان دوراً أكثر فاعلية في الشؤون الإيرانية أثناء تلك السنة، وكان هذا التطور متأسلاً في عوامل عديدة. فقد كانت إيران ذات قيمة على نحو خاص بوصفها طريقاً للإمدادات إلى الاتحاد السوفيتي، وتشغل موقعاً ذا أهمية استراتيجية كبيرة، وتنتج كميات كبيرة من النفط. وتبعاً لذلك اقترح جيرنكان في كانون الثاني ١٩٤٣ أن تتبع الولايات المتحدة الأمريكية سياسة أكثر فاعلية إزاء إيران (٣٢). وفي ٢٤ نيسان ١٩٤٣ أكد والاس ميوري بأن مذكرة جيرنكان ترمز إلى اتجاه السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية حينئذٍ (٣٣).

وفقاً للمسؤولين الأمريكان كانت هناك اختلافات بين سياسات وأهداف بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي في إيران. ففي حين صوّرت الأهداف السوفيتية في هذا البلد بكونها

عدوانية، فأن النوايا البريطانية وُصِفَتْ بكونها دفاعية صرفة ومكيفة لمنع تغلغل سوفيتي أبعد نحو الجنوب. وقد زُعم بأن البريطانيين كانوا راغبين بشكل جاد في استقلال إيران واستقرارها (٣٤). وعلى أية حال فإن كلاً من السوفييت والبريطانيين كانوا يعملون من أجل الحفاظ على مصالحهم الخاصة وتحقيق أهدافهم في إيران، لأن هذا البلد كان تقليدياً ذو أهمية حيوية لكلا القوتين. وإلى ذلك أيضاً اختلف البريطانيون والسوفييت في أساليبهما. فبينما دعم البريطانيون القوى المحافظة بشكل عام، لا سيما الجماعات المؤيدة للبريطانيين في المؤسسة السياسية الإيرانية والحكومة المركزية فإن السوفييت اختاروا تشجيع القوى اليسارية والحركات القومية الكوردية والأذرية.

في ١٩٤٣ حذر كورديل هول بأنه إذا استمرت الحوادث في اتجاهها الحالي فإن كُلاً من الاتحاد السوفيتي وبريطانيا قد يُقدمان على بعض الأفعال التي يمكن أن تعيق بشدة أو تدمر الاستقلال الإيراني (٣٥). وفي خريف ١٩٤٣ قدمت وزارة الخارجية الأمريكية إعلاناً حول الأهداف والمصالح الأمريكية في إيران حظي بتأييد من الرئيس روزفلت. وقد فضلت وزارة الخارجية الأمريكية الاقتراحات التي تقدم بها قسم شؤون الشرق الأدنى، مؤكدةً بأن النفوذ الأمريكي في إيران يجب أن يوجه نحو إنهاء التنافس الذي مضى عليه نصف قرن بين البريطانيين والسوفييت (٣٦).

استهدفت السياسة الأمريكية تقوية الحكومة في طهران. وقد دعمت الولايات المتحدة الإيرانيين من خلال تجهيز الجيش ببعثات استشارية أمريكية عملت على تعزيز قدرة إيران على محاربة المعارضة في الداخل (٣٧). وعينت الحكومة الإيرانية العقيد نورمان شوارتزكوف، الذي كان تحت إشراف وزارة الحرب الأمريكية، لتنفيذ إصلاحات في الجيش والجندرية الإيرانية بهدف رفع كفاءتهما (٣٨).

إن السياسة الأمريكية تجاه إيران كانت مشابهة إلى حد ما لسياسة بريطانيا العظمى هناك. فقد كان كلا البلدين راغبين في دعم الحكومة المركزية في طهران أملين أن تتمكن إيران بذلك من مواجهة أية محاولة سوفيتية لبسط السيطرة على البلد. وكانت الاختلافات الموجودة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى بخصوص إيران ضئيلة قياساً إلى تلك التي فمت بين الأمريكان والسوفييت. وكما سبقت المناقشة من قبل لويس فاوسيت، فقد كانت هناك،

برغم ذلك، درجة من الشك لدى الامريكان في / الاتفاق مع السياسة البريطانية في ايران وعدمه. وكان هذا عاملاً اساسياً في صياغة سياسة امريكية مستقلة^(٣٩). وحسبما تمت مناقشته سابقاً فإن جانباً مهماً آخر في هذا الاطار هو السياسة الخارجية للحكومة المركزية الايرانية نفسها، والتي استهدفت جذب الامريكان اكثر نحو ايران. وكان يؤمل، كما اسلفنا القول، بأن تكون الولايات المتحدة الامريكية بذلك بمثابة ثقل موازن للضغوط التقليدية المفروضة على ايران من قبل بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي.

وهكذا لعبت الحكومة الايرانية دوراً حاسماً في انغمار الولايات المتحدة الامريكية في القضايا الايرانية على صعيدي السياسة الخارجية والشؤون الداخلية.

لقد استلم الرئيس روزفلت تقريراً ارسله العميد باتريك هورلي حول السياسة الامريكية تجاه ايران. وقد ألمح هورلي بأن في الامكان استخدام ايران كنموذج لعلاقات الولايات المتحدة الامريكية مع كل الامم الصديقة الأقل حظوة. وبأن دعم ايران سيستتبعه بالضرورة تنفيذ إصلاحات عديدة في البلد، تُشكل ما يُسمى «خطة بناء أمة»^(٤٠). وفي جوابه الى وزارة الخارجية الامريكية كتب روزفلت قائلاً بأن الاراء الواردة في تقرير هورلي مثيرة للاهتمام جداً، وبأنه (اي الرئيس روزفلت) يُصادق على فكرة استخدام ايران كمثال على ما يمكن ان يترتب على «سياسة امريكية إثارية»^(٤١). واجابت وزارة الخارجية بأن مذكرة الرئيس روزفلت المؤرخة في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢ اثبتت كونها مفيدة للوزارة في محاولتها الرامية الى تحفيز برنامج استشاري امريكي في ايران يمكن ان يكون بمثابة نموذج^(٤٢).

ركزت الولايات المتحدة الامريكية مزيداً من الانتباه على شعوب الشرق الاوسط ومستقبلهم في سياق ميثاق الاطلنطي Atlantic Charter.

وقد تحدثت الولايات المتحدة الامريكية عن كونها ضد التغييرات الاقليمية التي لا تحدث وفق رغبات الشعوب المعنية، وبان لكل الشعوب حق اختيار شكل نظام الحكم الذي تعيش تحته^(٤٣). ان هول أتقن صياغة نقطة في التصريح الأساسي حول السياسة والذي كُتبت مسودته في ٢٣ تموز ١٩٤٢. فقد زعم بأن الحكومة كانت تستخدم و ستستمر في استخدام نفوذها لدعم تحقيق الحرية من قبل كل الشعوب التي اظهرت انها جديرة بذلك^(٤٤).

توقع مخطوط السياسة في وزارة الخارجية الامريكية تطور مشكلات شتى في فترة ما بعد

الحرب، والتي سيكون العديد منها وثيق الصلة بالشرق الاوسط. وكانت قضية التغييرات الحدودية المرتبطة بالادعاءات العرقية مهمة على نحو خاص. وتخوف مخططو السياسة من انه اذا ساد الشقاق في اوربا الشرقية والوسطى، وفي الشرق الاوسط بشكل خاص، فان النتيجة ستكون «الانتقامية والبلقنة - Revanchism and balkanisation».

وكانت الشواغل الرئيسية في هذا السياق هي مبادئ وحدة الاراضي الاقليمية، والسيادة الوطنية (او سيادة الدولة) القائمة اساساً على الوضع الراهن Status que قبل الحرب العالمية الثانية. وهكذا فان مطالب تغيير الحدود استناداً الى اسس تاريخية او عرقية، لها صلة بتسويات عام ١٩١٩، سوف لن تحظى بالتأييد (٤٥). وقد عكست هذه السياسة الموقف الذي تم تبنيه عموماً من قبل الولايات المتحدة الامريكية بوصفه يستند على ميثاق الاطلنطي وضد اي تغييرات اقليمية. وان الوضع الراهن يجب ان يُحافظ عليه ويبقى ثابتاً (٤٦).

الازمة النفطية الإيرانية - السوفيتية:

تعود اصول الازمة الإيرانية في شتاء ١٩٤٥-١٩٤٦ الى عمليات وسياسات الحلفاء في البلاد اثناء الحرب. وعلى اية حال فان تطوراً خطيراً في أواخر ١٩٤٤ ادى الى تفاقم التوترات السوفيتية - الإيرانية، والسوفيتية - الامريكية، وأعني بذلك الازمة النفطية (٤٧). التي وُصفت بكونها حدثاً يشكل نقطة تحول بالنسبة لإعادة توجيه السياسة السوفيتية سواءً في / أو تجاه ايران (٤٨).

دعت الحكومة الإيرانية شركات النفط الامريكية لبحث اتفاقٍ بخصوص امتيازات النفط في ايران. وقد سأل الملحق التجاري الإيراني في واشنطن شركة «ستاندرد فاكيوم اويل كومباني» فيما اذا كانت لديها اية اهتمامات من هذا القبيل (٤٩). وأكد جيرالد ناش بان كلاً من روزفلت ومخططيهِ السياسيين كانوا في واقع الامر مهتمين اهتماماً كبيراً بنفط الشرق الاوسط منذ عام ١٩٤٣. فقبل بضعة سنوات كانت شركتا تكساس و ستاندرد و اويل كومباني اوف كاليفورنيا تستغلان بصورة مشتركة حقول نفط المملكة العربية السعودية. وكانت هناك سابقاً مخاوف لدى كل من الادارة الامريكية وشركات النفط في عام ١٩٤٢ بان البريطانيين يسعون الى طرد الامريكان [من السعودية] (٥٠). وفي وقت مبكر من عام ١٩٤٤

كانت شركتا سنكلير اويل كومباني وستاندرد و فاكيوم تتفاوضان مع الايرانيين حول قضية امتيازات النفط. وهذه المحاولة الامريكية دفعت البريطانيين الى اتباع نفس المطلب، وادى هذا بدوره الى دعم حكومي امريكي قوي لمساعي الشركات الامريكية وكان دعم وزارة الخارجية الامريكية لمحاولات الشركات الامريكية الرامية الى الحصول على امتيازات نفطية، واحداً من التطورات التي ترمز الى التغلغل الامريكي في ايران(٥٢).

لقد أقصي السوفييت كليا من المشاورات التي جرت خلال عام ١٩٤٤(٥٣) بين الحكومتين الامريكية والبريطانية حول نفط الشرق الاوسط(٥٤). وبينما كان الامريكان والبريطانيون قريبين احدهما من الآخر في مساعيهم للحصول على الامتيازات، وكانوا موضع ترحيب من الحكومة الايرانية، فان طلبات سوفييتية مماثلة(٥٥) قد رُفضت حين اعلن رئيس الوزراء الايراني بان[ايران] سوف لن تمنح اي امتياز لاي بلد الى ما بعد الحرب(٥٦). وقد اتُخذ القرار الايراني طبقاً للائحة أقرها «المجلس» والتي منعت الحكومة من التفاوض مع اية قوة خارجية دون مصادقة «المجلس»(٥٧). وقد انزعج السوفييت كثيراً من هذا التطور، وبالتالي فان العلاقات الايرانية - السوفييتية قد عانت[من ذلك]. وفي آواخر عام ١٩٤٤، وبعد سقوط طلباتهم للحصول على امتيازات نفطية، بدأ السوفييت بالتدخل بشكل اكثر شمولاً في مجالات الشؤون الداخلية الاكثر حرجاً(٥٨).

وكما استنتج ستيفن مكفارلاند، فان الازمة النفطية كانت بمثابة محفز للمواجهة الامريكية - السوفييتية حول ايران(٥٩).

وقد تبني السوفييت وسائل [تقع] خارج القنوات الدبلوماسية الاعتيادية كان الغرض منها ممارسة الضغط على الحكومة الايرانية لكي توافق على الطلبات السوفييتية للامتيازات النفطية. وكانت النشاطات السوفييتية في دعم الازريين والكورد عنصراً رئيسياً في هذا الاتجاه.

كشفت الازمة النفطية عن جوانب عديدة من العلاقات فيما بين الحلفاء، وطبيعة السياسة السوفييتية، والاهداف الحقيقية للامريكان في ايران. وغالباً ما يُستنتج بان السوفييت قد دعموا، في الواقع، الكورد بشكل صريح منذ آواخر عام ١٩٤٤(٦٠). ومهما يكن فان القنصل الامريكي في تبريز قد ابدى ملاحظة بان النشاطات الكوردية قد ازدادت بشكل ملحوظ حتى

قبل انفجار الازمة النفطية^(٦١). وبرغم ذلك يجب النظر الى الازمة النفطية في عام ١٩٤٤ كواحدة من العوامل الاكثر اهمية من حيث تأثيرها في المناخ السياسي في ايران داخلياً ودولياً. فقد تأثرت العلاقات الايرانية مع الولايات المتحدة الامريكية ومع بريطانيا العظمى، ومع الاتحاد السوفيتي بشكل خاص. وقد اجتمعت الازمة مع التطورات في اذربيجان وكوردستان، بما في ذلك التورط السوفيتي المزعوم في حوادث هذه المناطق، ونتج عنها طلبات إيرانية اخرى لدعم امريكي [لها] ضد السوفييت^(٦٢). ان السياسة الداخلية الايرانية قد تشابكت ايضاً لأن الدعم السوفيتي للعناصر اليسارية والحركات القومية في اذربيجان وكوردستان قد تبلور الآن^(٦٣). وبعد مغادرة بعثة كافراده لتهران في كانون الاول ١٩٤٤ بدأ السوفييت بتقوية سيطرتهم على منطقة احتلالهم. وفضلاً عن ذلك ظهر السوفييت في مؤتمر يالطه (٤-٩ شباط ١٩٤٥) وهم اقل مرونة من اي وقت مضى. اذ رفضوا مقترحات بريطانية لانسحاب كل قوات الحلفاء من ايران في الوقت نفسه *Pari Passu*^(٦٤). واستمرت المشكلة طوال عام ١٩٤٥ وجزءاً من عام ١٩٤٦ الى ان تم التوصل الى اتفاق بين ايران والاتحاد السوفيتي.

في تحليله للاهداف والمصالح السوفيتية في ايران استنتج القائم بالأعمال الامريكي في موسكو جورج كينان بان المحاولة السوفيتية للحصول على امتيازات النفط دلالة على محاولات التغلغل السوفيتي في ايران والمشاغل السوفيتية بخصوص الهيبة *Prestige*. فقد رغب السوفييت في منع اية قوة اخرى من استغلال النفط في شمال ايران، وربما كانوا على دراية بمقاومة الولايات المتحدة الامريكية للاهداف السوفيتية في شمال ايران^(٦٥). ويجب التأكيد بأن تدخل السوفييت ورفضهم سحب قواتهم من شمال ايران كان متمازاً بصورة قوية مع ازمة النفط^(٦٦).

وختاماً لهذه المناقشة فإنه بينما ادت ازمة النفط الى تغييرات في علاقات الولايات المتحدة الامريكية مع بريطانيا على المسرح الايراني، فإنها كشفت التنافس بين القوتين الغربيتين من جهة والاتحاد السوفيتي من جهة اخرى. وفضلاً عن ذلك فقد ثبت ان هذا التطور كان ذا مغزى بالنسبة للشؤون الايرانية لأنه حفز الاهتمام السوفيتي في الحركات القومية الكوردية والاذرية^(٦٧).

السياسة الكوردية للاتحاد السوفيتي:

وفقاً للسفير الامريكى في ايران والاس ميوري كان الهدف السوفيتي الرئيسي في المنطقة الخاضعة للاحتلال السوفيتي هو تشجيع «الوعي الاقليمي والسخط على الحكومة المركزية». وبأن هذا يمكن ان يؤدي الى الانفصال ثم الدمج المحتمل لتلك المناطق في الاتحاد السوفيتي. وأكد ميوري بأن الهدف الرئيسي للسوفييت هو خلق ما يُسمى «حكومة شعبية» في طهران شبيهة بنظام غروزا Groza في رومانيا، والتي ستضم رجالاً خاضعين للنفوذ السوفيتي ومعادين للامم الاجنبية الأخرى (٦٨). وبعد وقت قصير رأى ميوري ايضاً بأن من ضمن النوايا السوفيتية الوصول الى الخليج العربي والتغلغل في الشرق الادنى كله. وبأن السوفييت يريدون الاحتفاظ في الاقل بنفوذ مهيمن في المقاطعات الشمالية (٦٩). وزعم آخرون، مثل چارلس باكستر، رئيس الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية، بان السوفييت يدعمون الكورد والاذريين للضغط على تركيا وايران (٧٠).

واكد روبرت روسو بان السياسة السوفيتية في ايران كانت جزءاً من استراتيجية عظمى تهدف الى تعزيز النفوذ السوفيتي في انحاء شرقي المتوسط والسويس وحقول نفط الخليج العربي. ولهذا، كما يقول روسو، ابدى الاتحاد السوفيتي اهتماماً شديداً بأيران، وخاصة بأذربيجان الايرانية (٧١)، حيث تزامنت التدابير السياسية السوفيتية مع قيام الحركات القومية الاذرية والكوردية.

في آذار ١٩٤٦ ابرق جورج كينان الى واشنطن معبراً عن رأيه بخصوص الاهداف السوفيتية في ايران. وقد ذكر كينان بأن الهدف الرئيسي للسوفييت هو اقامة نظام حكم في طهران يقبل بكل المطالب السوفيتية، وخاصة مايتعلق بامتيازات النفط وبقاء القوات السوفيتية في ايران. وبان الاتحاد السوفيتي سيستغل عناصر ايرانية لضمان اهدافه في هذا البلد (٧٢). والحقيقة ان الحكومة الايرانية كانت قد ابلغت الامريكان سابقاً بان السوفييت يستخدمون الكورد والاذريين بشكل فعال في سبيل اغراضهم الخاصة (٧٣). كان الاتحاد السوفيتي راغباً في استخدام قضية اذربيجان لممارسة ضغط على الحكومة المركزية في طهران، ولكن الهدف لم يكن فصل اذربيجان عن ايران (٧٤). ورأى بروس كونهولم بان الدبلوماسية

السوفيتية في شمال إيران، وخاصة فيما يتعلق بدعم الأذريين والكرود، كانت ترمي إلى منع إبرة قوة خارجية من إقامة موطئ قدم في شمال إيران. وأراد السوفييت أيضاً إقامة منطقة دفاعية خارجية Outer defence Zone للحدود الروسية الجنوبية، وفي الوقت نفسه موازنة تغلغل القوى الخارجية الأخرى^(٧٥). وبمعزل عن العوامل الأخرى كان واضحاً أن من مصلحة السوفييت دعم الكورد والأذريين. وينبغي النظر إلى هذه السياسة في ضوء المصالح السوفيتية في إيران والشرق الأوسط، وفي ضوء العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والقوتين الغربيتين.

لقد زعم بان السوفييت سعوا إلى تعزيز نفوذهم في إيران خلال ١٩٤٤ وخاصة في الخريف^(٧٦)، إلا أن هناك اختلافاً حول هذا الزعم. وهناك آراء مختلفة أيضاً حول الوقت الذي حدث فيه التحول في السياسة السوفيتية تجاه الكورد. ولم يكن التحول في الموقف السوفيتي تجاه إيران والقضايا المتصلة بها مرتبطاً بأزمة النفط فقط. ويبدو أن إعادة توجيه السياسة السوفيتية ارتبطت بشكل مماثل بتقدم سير الحرب لصالح الحلفاء، ومن ضمنهم الاتحاد السوفيتي. إن الدور الفعال للاتحاد السوفيتي وأهدافه السياسية والاستراتيجية أزاء إيران قد تطورت سابقاً في ١٩٤٢-١٩٤٣ بسبب عوامل عديدة هي:

- ١- المجهودات الحربية وتحول مجرى الحرب لصالح الحلفاء.
- ٢- العلاقات مع البريطانيين والأمريكان وسياستهم في إيران، وخصوصاً رد فعلهم لمختلف النشاطات السوفيتية في شمال إيران.
- ٣- نمو المصالح الأمريكية والسوفيتية في إيران.

إن الضغط السوفيتي على إيران والمجهود المبذول لزيادة النفوذ السوفيتي في البلد، تصاعدت مع طرد الاتحاد السوفيتي القوات الألمانية من الأراضي السوفيتية. وفي وقت ما من عام ١٩٤٣ صمم السوفييت على إزالة، أو في الأقل تحجيم، النفوذ البريطاني في إيران^(٧٧). وقد تبنى السوفييت أيضاً دوراً أكثر فاعلية في أحداث كوردستان مع تحقيق الاتحاد السوفيتي انتصارات عسكرية حاسمة في الحرب ضد ألمانيا^(٧٨). إن معركة ستالينغراد الناجحة في شتاء ١٩٤٢-١٩٤٣ أدت إلى تخفيف الضغط الألماني على الاتحاد السوفيتي، وترتب على ذلك إتاحة وقت أكبر للسوفييت كرس لتعزيز مصالحهم في إيران للفترة القادمة ما بعد الحرب. وكان على الاتحاد السوفيتي أن يتبع سياسة خارجية أكثر فاعلية تجاه إيران، وأن يصبح أكثر تورطاً

في الشؤون السياسية الإيرانية، سواء الداخلية منها أو الدولية (٧٩) وفي موازاة هجومهم المقابل على القوات الألمانية في عام ١٩٤٣ باشر السوفييت هجوماً دبلوماسياً في الشرق الأوسط. فعلى سبيل المثال استأنف السوفييت علاقاتهم الدبلوماسية مع القاهرة في آب ١٩٤٣ ، كما زار ايفان مايسكي، نائب وزير الخارجية [السوفيتي]، الاقطار العربية وجرى «محادثات ودية» مع قادة العرب (٨٠). ويمكن النظر الى التحولات في السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط ، وبشكل ملحوظ في ايران ، في اطار سياسة اكثر هجوميةً شنها الاتحاد السوفيتي على نطاق عالمي . وفي الختام يبقى واضحاً ان المحاولات السوفيتية لضمان امتيازات نفطية في شمال ايران قد ترتبت عليها بعض التطورات العصبية.

الكورد والایرانیون والقوى العظمى :

نتيجة لتواصل حالة عدم الاستقرار في اذربيجان وكوردستان في منطقة الاحتلال السوفيتي، حاولت السلطات الإيرانية استعادة النظام في هذه المقاطعات والسيطرة عليها في وقت مبكر في عام ١٩٤٥ وكما كانت الحالة سابقاً فضّلت الحكومة استخدام الوسائل العسكرية . ان الوزير البلجيكي المفوض في طهران كرايف أبلغ ، نيابة عن الشاه ، السفير الامريكي في طهران بان الكورد قد هاجموا المدن وذبحوا رجال الشرطة الايرانيين. وازادت الحكومة من وراء ذلك الحصول على مصادقة بريطانية وامريكية لارسال قوات ايرانية لتقوم باجراء تأديبي ضد الكورد. وقد منع السوفييت دخول القوات الامريكية الى المنطقة. وكان على كرايف ان يقدم ، بالنيابة عن الشاه، طلبا ايرانيا الى السفير البريطاني ريدر بولارد والسفير الامريكي ليلاند موريس لمناشدة حكومتيهما حول هذه القضية (٨١). وبالرغم من طلباتهم المستمرة اخفق الايرانيون في ضمان دعم امريكي في هذه القضية . وتحوّف المبعوث الامريكي في طهران من ان دخول القوات الايرانية الى المنطقة التي يحتلها السوفييت سيثير اضطرابات اخرى في المناطق المعنية (٨٢). وعلى اية حال ، ومع استمرار ابتلاء كوردستان بعدم الاستقرار، تابع المسؤولون الامريكان الحالة هناك بدقة . وقد أبلغ موريس وزارة الخارجية الامريكية عن غارات كوردية على مدينة مهاباد جنوب بحيرة رضائية ، واحتمال جلب قوات ايرانية من مدينة ساقز التي تقع خارج منطقة الاحتلال السوفيتي .

لقد افترض بان السلطات السوفيتية كانت متورطة في الاضطرابات ، او انها في الاقل تعيق القوات الايرانية عن قمع الهجوم الكوردي على القوات الايرانية (٨٣). وعلى اية حال فقد اكد باكستر بان ليس هناك تأكيد لما تردد عن اعاققة السوفييت للقوات الايرانية (٨٤). وفي اضافته بان السوفييت كانوا وراء تحريض الكورد والاذريين ، لاحظ باكستر عدم وجود دليل ملموس بهذا الصدد (٨٥). ان المفاوضات بدأت بين وزير الحربية الايراني ، ووزير الشؤون الخارجية ورئيس هيئة الاركان الايرانية ، والسفير السوفيتي في طهران. وقد سعى' الايرانيون الى اقناع السوفييت بالسماح للقوات الايرانية بدخول المناطق الكوردية المعنية . وعلى اية حال فان كل من الكورد والسوفييت عبروا عن معارضتهم لدخول القوات الى مهاباد (٨٦)، وكانت حجة السوفييت ان « [دخول] القوات [سيؤدي] ببساطة الى [اثارة] الاضطراب من جانب الكورد » (٨٧).

من خلال تذكيرهم المستمر للامريكان عن الظروف الرهيبة في المناطق التي يسيطر عليها السوفييت في كوردستان، كان الايرانيون يعملون من اجل ضمان التورط الامريكي في قضايا كانت ذات صفة داخلية في الواقع، وكانت تشمل ايضا على علاقات سوفيتية - ايرانية . ولذا فان المسألة لم تكن كثيراً مسألة ما اذا كان سيسمح للقوات الايرانية بالتحرك نحو المناطق الكوردية . والواقع ان القوات الايرانية التي خصصت للعمل في مهاباد كانت اضعف من ان تقاتل المسلحين الكورد في المدينة بنجاح . وقد لاحظ الجنرال ديراخا شاني، قائد القوات الايرانية في تبريز، ان المسلحين الكورد في مهاباد وقربها، والذين قُدر عددهم بحوالي ٦٠٠٠ رجل، كانوا اقوياء بما فيه الكفاية لطرد اية قوة ايرانية مسلحة سترسل الى مهاباد (٨٨).

كان خطر التوتر الشديد بين السوفييت والامريكان واضحا منذ اوائل عام ١٩٤٥ عندما ناشدت الحكومة الايرانية الامريكان لممارسة ضغط على السوفييت في موضوع ارسال القوات الايرانية الى المناطق المضطربة (٨٩). وفي ربيع ١٩٤٥ اصدرت وزارة الخارجية الامريكية تعليمات الى السفير الامريكي في طهران ليشير على الحكومة الايرانية بان في امكانها ارسال القوات الى اذربيجان وكوردستان بموجب المعاهدة الثلاثية، وبموجب اعلان طهران (كانون الاول ١٩٤٣). واذا اعترض السوفييت على هذا الاجراء فان بإمكان الايرانيين الاتصال بحكومتها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا. وقدمت نفس الرسالة الى الحكومة الايرانية

عبر الوزير المفوض الإيراني في واشنطن (٩٠).

وفي ٢٥ ايلول ١٩٤٥ حذر ميوري وزارة الخارجية الامريكية من النتائج المؤذية التي يمكن ان تنجم عن السيطرة السوفيتية على شمال ايران بالنسبة للمصالح الامريكية في ايران والشرق الاوسط . واكد ميوري بان المجالات التي يمكن ان تتأثر سلبياً هي الخطوط الجوية الامريكية والمصالح التجارية والنفطية . فضلاً عن ذلك سيترتب على السيطرة السوفيتية امتداد النفوذ السوفيتي الى سواحل الخليج الفارسي [العربي] ، وسيشكل هذا تهديداً كامناً للممتلكات النفطية الامريكية المهمة في المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت (٩١).

ان رأي السوفييت وفعالهم تجاه الكورد كان جزءاً من الخلفية العامة للموقف . لقد قدم وزير الخارجية الإيراني شكاوى الى الحكومة السوفيتية بخصوص هذه المسألة . وفي رسالة منه الى السفارة السوفيتية في طهران ذكر وزير الخارجية الإيراني بان الكورد في كوردستان الشمالية قد حصلوا على الاسلحة ، وان هذا صحيح بالنسبة لروائية ومهاباد ، وبان عدداً من الزعامات الكوردية زاروا باكو ، وان الملا مصطفى البارزاني (ملا مصطفى من الان فصاعداً) قد دخل الى ايران مع عدد من اتباعه في خريف ١٩٤٥ (٩٢) . وفي اواخر تشرين الثاني ارسلت السفارة الامريكية في طهران العديد من المراقبين الى تبريز لتقصي الحوادث في المنطقة وتقييم ما اذا كان في الامكان ربط تلك الحوادث بالدعم السوفيتي للحركات القومية الكوردية والأذرية .

وفي الوقت نفسه عبّرت الحكومة الإيرانية ، في مذكرة احتجاج الى القيادة السوفيتية ، عن قلقها بخصوص الدور الروسي في الاضطرابات ، كما كان دعم السلطات السوفيتية للزعماء الكورد المتمردين احدي القضايا [التي وردت في المذكرة] ، وعلى اية حال فان الجواب السوفيتي على موضوع الجدل هذا كان ، حسب تعبير السفير الإيراني في واشنطن ، «مهلهلاً الى ابعد حد» ويضع اللوم على الإيرانيين انفسهم (٩٣) وفي تقرير حول الوضع في اذربيجان تحدث لوي هندرسون ، مدير مكتب شؤون الشرق الادنى في وزارة الخارجية الامريكية ، عن التطورات في كوردستان واذربيجان في اواخر ١٩٤٥ . وقد ادعى بان حالة الامور في المنطقة ستكون لها مضاعفات على كل من الشؤون الداخلية الإيرانية ، والعلاقات فيما بين الحلفاء والمصالح الامريكية في ايران . وزعم هندرسون بان سياسة الولايات المتحدة كانت تقوم ، ليس

فقط على الرغبة في دعم أمة صديقة بل وكذلك على الحاجة الى منع تحول القضية الايرانية الى تهديد للأمن الدولي وتضامن الحلفاء . وبيان هذه الاهداف مرتبطة بالمصالح الامريكية في ايران . وأكد هندرسون بان للولايات المتحدة الامريكية مصلحة مباشرة في القضية بسبب اعتباراتها النفطية والاقتصادية والاستراتيجية في هذه المنطقة(٩٤).

الفصل السادس

القضية الكوردية في العراق خلال الحرب العالمية الثانية

- الكورد في العراق قبل الحرب العالمية الثانية .

- [الكورد في العراق] خلال الحرب العالمية الثانية.

- انتفاضة ملا مصطفى ' ١٩٤٣-١٩٤٥

- مفاوضات اخرى ' مع ملا مصطفى ' .

- القلق الامريكى.

- السياسة الكوردية الحذرة لبريطانيا العظمى ' .

- المفاوضات مع شريف باشا.

يعالج هذا الفصل [الكورد في العراق خلال الحرب العالمية الثانية ورغم ان الدراسة الحالية تركز على الكورد في ايران بشكل رئيسي ، الا ان هناك اسباباً عديدةً لتكريس فصل عن الكورد في العراق ، وللانتفاضات الكوردية في بارزان بشكل خاص . فقد كان هناك تفاعل محكم بين الحوادث في كوردستان الايرانية وكوردستان العراقية خلال الفترة موضوع الدراسة. اذ لعب الكورد البارزانيون في العراق وملا مصطفى' بشكل خاص ، دوراً بارزاً في التطورات السياسية في كوردستان الايرانية بعد طرد ملا مصطفى' من العراق في خريف ١٩٤٥ وكان البارزانيون ، تحت قيادة ملا مصطفى' نقطة بؤرية في التطورات السياسية في كوردستان العراقية خلال سنوات الحرب . وعلى سبيل المثال ، فان دراسة السياسة البريطانية في كل من ايران والعراق تهيء فرصة مثيرة للاهتمام للمقارنة بين السياسة التي تم تبنيها تجاه القضية الكوردية في الدولتين.

ـ الكورد في العراق قبل الحرب العالمية الثانية:

ان المنطقة التي صارت دولة العراق فيما بعد احتلت من قبل بريطانيا اثناء الحرب العالمية الاولى . وبموجب [قرارات] مؤتمر سان ريمو في عام ١٩٢٠ اصبح العراق دولة خاضعة للانتداب البريطاني . وفي هذا الوقت أعطيت ايضا تأكيدات بخصوص الحكم الذاتي للكورد ضمن حدود العراق. لكن هذه الوعود لم تتحقق. ولم تتضمن بنود المعاهدة العراقية - البريطانية ، التي استقل بموجبها العراق ، اية امتيازات للكورد (١). وكان غالبية الكورد في العراق يشعرون بالاستياء من هذه المعاهدة ولذا فانهم قاطعوا الانتخابات التي سبقت التصديق عليها . وتظاهر عدد كبير من الكورد ضد المعاهدة في مدينة السليمانية في ايلول ١٩٣٠ وردت الحكومة العراقية ، المدعومة من قبل البريطانيين ، بعنف وقتلت ثلاثين من المتظاهرين وجرحت اكثر من ذلك. ومنذ ذلك الحين أطلق على يوم ١٦ أيلول اسم «روزا رهش» اي اليوم الاسود (٢). انه الشيخ محمود البرزنجي، وهو من السليمانية وقاد عدة انتفاضات في الاعوام ١٩١٩-١٩٢٧، سعى الى استغلال الموقف وقاد تمرداً كوردياً آخر مطالباً بـ«حكم ذاتي» لكوردستان. وقد حاول الشيخ محمود الهرب الى بلاد فارس في اذار ١٩٣١ عقب صراع مع القوات العراقية لكنه منع من ذلك واضطر بالتالي الى الاستسلام للسلطات العراقية. وتم ترحيله بعد ذلك الى جنوب العراق حيث أجبر على العيش تحت المراقبة في مدينة الناصرية في جنوب العراق (٣).

وخلال الفترة ١٩٣٠-١٩٣١ نفسها ، ناشد قادة الكورد العراقيون عصبة الامم لاقامة دولة كوردية مستقلة ، او في الاقل منح الكورد حقوقاً قومية وسياسية ضمن العراق ، ولكن دون جدوى (٤). وشهدت الثلاثينات ايضا نهوضاً في النشاط السياسي الذي تجسّد في الاحزاب والجمعيات السياسية. ففي عام ١٩٣٥ تاسست في السليمانية جمعية باسم «كومله اى ازادي كورد» اي جمعية الحرية الكوردية . وكان احد الاهداف الرئيسية لهذه الجمعية توحيد كل اجزاء كوردستان لاقامة دولة كوردية . وفي عام ١٩٣٨ تشكلت جمعية كوردية باسم «كوملة تي براية تي كورد» اي جمعية الاخوة الكوردية . وكان حزب هيو، الذي ظهر في نهاية الثلاثينات ، الحزب السياسي الاكثر نفوذاً . وقد اتسمت هذه النشاطات السياسية المتعددة

بحقيقة انها كانت تدار من قبل موظفين وطلبة وكسبة ومراقب حضرية اخرى'. ان تحولاً ذا مغزى كان يحدث الآن في الحركة القومية الكوردية في العراق. وكان التطور الاكثر اهمية هو تحول القيادة الكوردية الى المراكز الحضرية بشكل مهم.

- [الكورد في العراق] خلال الحرب العالمية الثانية:

لم يكن هناك ، في النزاع الكوردي - العراقي خلال سنوات الحرب ، موقف متجانس لا في المعسكر الكوردي ولا في المعسكر العراقي . وكانت الحكومة العراقية نفسها منقسمة بشأن كيفية التعامل مع القضية الكوردية . وقد زُعم بان النزاع بين الكورد والحكومة العراقية جاء ليشق المؤسسة الحاكمة الى «صقور» يفضلون الحل العسكري ، و«حمام» يحظون بدعم المثقفين الكورد ، يتبنون اصلاحات في كل مجالات العلاقات الكوردية (٦). وكان الافتقار الى الانسجام اكثر حدة بين الكورد . ان الزعامة «التقليدية» ، التي كانت عشائرية ، فضلت الوسائل العسكرية لتحقيق الطموحات الكوردية . اما المثقفون والعناصر المتعلمة الكوردية ، الذين يمثلون الجزء الحضري من المجتمع الكوردي ، سواء كانوا منظمين في احزاب وجمعيات سياسية او غير منظمين ، فقد تبنوا الحل السياسي . وبلاضافة الى ذلك فان بعض الشخصيات الكوردية البارزة ناصرت التعاون مع الحكومة العراقية . لقد تطع هؤلاء الى تهدئة المناطق الكوردية وانصاف شكاوى الكورد بالعمل من خلال الحكومة العراقية (٧). وعلى اية حال فان «الصقور» هم الذين هيمنوا في داخل الحكومة العراقية وبين الكورد (٨). كانت كوردستان العراقية تضم ، في ذلك الحين ، مركزين للمقاومة ضد الحكومة ، احدهما في السليمانية والاخر كان في منطقة بارزان . وكان الأخير مركزاً لانتفاضات ضد السلطات العثمانية سابقاً قبل تشكيل دولة العراق .

ان وجود اكثر من مركز رئيسي للمقاومة دفع الوزير المفاوض الامريكى في بغداد ، على سبيل المثال ، الى القول بان الكورد «ليس لديهم قادة يبدون مستعدين وقادرين لقيادة شعبهم في كفاح ناجح في سبيل الحكم الذاتي ، او في سبيل الاستقلال» (٩). والواقع ان قلة من القادة كانوا يحظون بدرجة معينة من الشعبية بين الكورد ، اي ملا مصطفى في بارزان والشيخ محمود البرزنجي في السليمانية. ومع ذلك لم يكن لدى اي منهما القدرة على تعبئة

وتوحيد الكورد، او قيادة حركة قومية كوردية. وفضلاً عن ذلك كان هناك تنافس بين قادة بارزان والشيخ محمود حول السلطة والمركز الاجتماعي - السياسي.

* * *

نظراً للضعف النسبي الذي طرأ على 'مركز البريطانيين في العراق في بداية الاربعينات ، مصحوباً بتزايد النشاط السياسي للمنظمات المختلفة ، وانتفاضات العشرينات والثلاثينات ، فان السبيل كان مهياً مرة اخرى 'لانتفاضات في كوردستان العراقية . وفضلاً عن ذلك كان تدهور حالة الكورد شديداً ، وحتى 'السلطات البريطانية كانت على علم باخفاق الحكومة العراقية في الاصلاح او التعامل بعقلانية مع الموقف ، وكان الاستياء العام بين الكورد انعكاساً لتدهور الاوضاع. وقد وصف السفير البريطاني في بغداد الحالة في كوردستان العراقية بانها لا تبعث على 'الرضا' (١٠). وفي مناسبة اخرى لاحظ السفير البريطاني بانه في حين لا يوجد اي دليل مباشر على [سياسة] تمييز واقعي ضد الكورد ، الا ان من الواضح بان الحكومة العراقية قد تبنت دوماً موقفاً سلبياً من الكورد ومظالمهم (١١) وجاء في مذكرة ارسلتها السفارة البريطانية في بغداد الى لندن بان الكورد في العراق كانوا «ضحايا الادارة غير الكفوءة وغير النزيهة ، والسياسة الاقتصادية للحكومة العراقية (بل بالاحرى الافتقار الى سياسة اقتصادية) ... ان لديهم [اي الكورد] بالتأكيد مظالم حقيقية جداً ضد الحكومة، التي لم تقم بعد بأية محاولة جادة لازالتها» (١٢).

في ضوء مثل هذه الظروف اندلعت ثورة يقودها ملا مصطفى في كوردستان العراق في منطقة بارزان عام ١٩٤٣.

وذكرت السفارة البريطانية في بغداد في تقرير لها بان ملا مصطفى يقود ثورة ويحتج لان اياً من شكواه وأياً من شكاوى اتباعه الكورد لم تُعالج بطريقة مرضية من قبل الحكومة العراقية (١٤). وقد تسلمت السفارة البريطانية في بغداد رسالتين ، الاولى من ملا مصطفى الثانية من «مركز قيادة كوردية» لاعلاقة لها بانتفاضة ملا مصطفى البارزانية ، وفي كلتا الرسالتين اتُهمت الحكومة العراقية بالاخفاق في ايجاد حل معقول للمشكلة الكوردية (١٥). ولم يتبن البريطانيون سياسة صريحة في انتقاد الحكومة العراقية بهذه الصدد ، لقد اراد

البريطانيون ان يوضحوا تماماً بانهم لم يكونوا مسؤولين بأي شكل عن المأزق الكوردي في العراق . وبعدُ فانهم سعوا في الوقت نفسه الى استغلال النزاع بين الكورد والحكومة العراقية لمنفعتهم الخاصة ، اي لتقوية مركزهم في العراق. ويبدو من المعقول الاستنتاج بانه كان في مقدور البريطانيين حل المشكلة الكوردية في الفترة ١٩٢٠-١٩٣٢ عندما كان العراق تحت الانتداب البريطاني . وحتى بعد استقلال العراق في عام ١٩٣٢ احتفظ البريطانيون بتأثير مهم على سياسات الحكومة العراقية.

انتفاضة ملا مصطفى ' ١٩٤٣-١٩٤٥:

كانت منطقة بارزان موطناً لثورة في اواخر ١٩٤٣ وبداية ١٩٤٤. وقد ترتب على هذه الثورة هجمات مسلحة على مراكز الشرطة العراقية ، كما اقلقت كُلاً من السلطات البريطانية والعراقية . ان استمرار مثل هذه الاضطرابات في العراق اضعف مركز الحكومة العراقية وتسبب في عدم استقرار عام في المجال السياسي في البلاد ، وخاصة في كردستان (١٦). ولقد وصف الموقف في بارزان من وجهة النظر البريطانية بكونه مُربكاً للمجهود الحربي لحكومة صاحب الجلالة [اي الحكومة البريطانية] (١٧). وكان البريطانيون يتلهفون لانتهاه هذه الاضطرابات ولذلك اتصلوا بملا مصطفى لمعرفة مطالبه . وقد ناشد ملا مصطفى السفير البريطاني في بغداد أن يطلب من الحكومة العراقية ان تسامحه وأن تطلق سراح الزعامات البارزانية المبعدة الى الحلة (في جنوب العراق). وتعهد في مقابل ذلك بالحفاظ على السلم والنظام ، رُغم انه كان من الواضح بانه يرغب في الاحتفاظ بسيطرة لا يُعكّرها شيء على منطقة بارزان. (١٨)

ان المراسلات بين السفارة البريطانية في بغداد وملا مصطفى توحى بان الشائر [اي ملا مصطفى] اراد اعطاء انطباع بان لديه شكاوى ضد الحكومة العراقية ، ولكن ليس ضد الحكومة البريطانية. ووضح ملا مصطفى للممثلين البريطانيين في بغداد بانه مستعد وراغب في اطاعة الحكومة البريطانية التي «عبر عن حبه العميق لها بتعابير بليغة» (١٩). وربما يمكن تفسير ذلك بوصفه اجراءاً محسوباً يرمي الى خلق نزاع بين السلطات العراقية والبريطانية بخصوص موقفهما من الثورة في بارزان . ومهما يكن فان ملا مصطفى لم يكن موفقاً في

محاولاته هذه . ورغم ان البريطانيين غالباً ما كانوا ينتقدون السلطات العراقية بفشلها في معالجة الموقف، الا انهم كانوا مصممين على وضع نهاية للانتفاضة . وفي تقييمها للسياسة البريطانية تجاه انتفاضة بارزان ، استنتجت المفوضية الامريكية في بغداد بان تعاطف بريطانيا مع ملا مصطفى كان امراً واضحاً بالنسبة للثائر نفسه وللحكومة في بغداد . وعلى اية حال فان البريطانيين اعترفوا بان مصالحهم طويلة الاجل في العراق وان هذا يستوجب دعم حكومة بغداد . وهكذا ففي الوقت الذي اتفق فيه البريطانيون بان على الحكومة العراقية منح امتيازات معينة لملا مصطفى فانهم دعموا في الوقت نفسه الجيش العراقي ضد الانتفاضة^(٢٠). والواقع ان السفارة البريطانية في بغداد أصدرت تحذيراً باسم الحكومة البريطانية الى ملا مصطفى في ٢١ كانون الاول ١٩٤٣ ورد فيه بوضوح ان الحكومة البريطانية مضطرة الى النظر الى نوايا ملا مصطفى بانها غير ودية^(٢١).

وهكذا ففي حين أن هناك دليلاً يوحى بانه لدى البريطانيين بعض التقدير للشكاوى الكوردية فان هذا قد عُمر بالتأييد البريطاني لتحالف مع الحكومة العراقية ان السجلات الدبلوماسية الخاصة بتلك الحقبة لا تشير الى اي تعاطف بريطاني مع قضية ملا مصطفى وفي الحقيقة يبدو ان البريطانيين وفي ضوء ضعف مركز الحكومة العراقية في وجه الانتفاضة استغلوا الموقف في كردستان في علاقاتهم مع الحكومة العراقية لاحتراز مكاسب سياسية.

وعلى القدر نفسه من الاهمية الاشارة الى ان مراسلات ملا مصطفى مع السفارة البريطانية في بغداد تعكس حقيقة ان مطالب الثوار كانت محلية الطابع ، ولذا فانها لم تنطرق الى المظالم العامة للكورد بصفتهم مجموعة قومية عرفيه في العراق. ان كلاً من الحكومتين العراقية والبريطانية سعتا الى خيارات قد تضع نهاية لثورة بارزان^(٢٢). وكانت الحكومة البريطانية وممثليها في بغداد يأملون بان الحكومة العراقية ستبني موقفاً توفيقياً وتسهل الحل السلمي . وفي حين كان البريطانيون اكثر مرونة وانفتاحاً بخصوص شكاوى ملا مصطفى ومأزق الكورد بشكل عام ، فان الحكومة العراقية كانت ستقبل فقط بالاستسلام التام للملا مصطفى^(٢٣).

* * *

على اية حال حاولت الحكومة العراقية التشاور مع ملا مصطفى عبر العديد من المفاوضين . ففي خريف تم تخويل اللواء محمد سعيد التكريتي ، قائد القوات العراقية في شمالي العراق، من قبل حكومته لاجراء مفاوضات مع ملا مصطفى . وقد اتسمت الاجتماعات اللاحقة بعدم رغبة اي من الطرفين في التسوية وكانت مطالب ملا مصطفى تتضمن العفو التام عنه وعن رجاله ، بما في ذلك اولئك الذين فروا من الشرطة والجيش ، والنظر في دعاواه بخصوص اعادة اراضي مصادرة تعود لعائلته في منطقة بارزان، والسماح لشيخ بارزانيين اخرين يعيشون في الاقامة الجبرية residence forcee في الحلة بالعودة الى كردستان، اما شروط التفاوض التي طرحتها الحكومة العراقية فهي ان على ملا مصطفى ان يقبل استسلاماً غير مشروط ويضع نفسه تحت رحمة الحكومة (٢٥). وقد حاولت السفارة البريطانية في بغداد والمتشاورون البريطانيون اقناع كل من الطرفين بالتوصل الى تسوية . ان الرائد سي. جي . ادموندز وهو مستشار بريطاني في وزارة الداخلية العراقية لفترة طويلة ومرجع فيما يتعلق بالكورد، وضع مسودة مقترح رسمي لهذا الغرض . ان الشروط التي اشترطها ادموندز ، والتي كان على ملا مصطفى بموجبها الخضوع للسلطات العراقية ، قد افترضت سلامة [طوية] الحكومة العراقية. وكانت الشروط المقدمة الي ملا مصطفى هي:

١- سيتم العفو عن ملا مصطفى ورجاله بعد اذعانهم [للحكومة العراقية] ولن يُمنح العفو للعناصر الاخرى مثل الفارين من الجيش والشرطة.

٢- ان الحكومة العراقية ستعيد النظر في عودة الشيخ البارزانيين المبعدين الى مدينة الحلة الجنوبية.

٣- سيعاد النظر ايضا في (مسألة) اعادة اراضي الشيخ البارزانيين.

٤- على ملا مصطفى ورجاله تسليم جميع الاسلحة التي كانوا قد استولوا عليها .
واذا اخذنا في الحسبان طبيعة هذه الشروط فان قبول ملا مصطفى بها كان يعني انه سيرمي بنفسه فعلاً تحت رحمة الحكومة العراقية . فضلاً عن ذلك فان الشروط اعلاه لم تلزم الحكومة بان تنظر بعطف في دعاوى ملا مصطفى ، وكان القبول بهذه الشروط يعني ان ملا مصطفى سيجد نفسه في نفس الوضع الذي كان عليه قبل هروبه ، اي تحت الاقامة الجبرية.
لقد عبّر ملا مصطفى عن رفضه لمقترحات ادموندز بالقول بانه سيفضل موتاً مُشرفاً على

الاذعان للبريطانيين ، او التوصل الى اتفاق مع الحكومة العراقية على اساس ضمانه بريطانية بشأن تنفيذ بنوده^(٢٧). ووفقاً للمفوضية الامريكية في بغداد فانه مع اواخر كانون الاول ١٩٤٣ مارست الحكومة البريطانية ضغطاً على الحكومة العراقية بواسطة السفير [البريطاني] ، والبعثة العسكرية البريطانية لدى الجيش العراقي، والمستشارون البريطانيون في وزارة الداخلية العراقية، لترتيب تسوية سلمية^(٢٨).

مفاوضات اخرى ' مع ملا مصطفى '

سعت الحكومة العراقية الى اجراء مفاوضات مع ملا مصطفى' من خلال ماجد مصطفى' ، وهو وزير للشؤون الكوردية بلا حقيبة وزارية Portfolio ، كما انه قومي كوردي معتدل^(٢٩). فقد ناقش ملا مصطفى' وماجد مصطفى' في ميركه سور، المركز الاداري لمنطقة بارزان، امكانية انهاء الثورة سلمياً . ووفقاً لذلك قُدمت مقترحات هي:

أ- سيسمح لملا مصطفى' بالاقامة في قرية خارج بارزان.

ب - سيسمح للشيخ احمد البارزاني، شقيق ملا مصطفى' ورئيس عشيرة بارزان، واتباعه بالعودة الى بيوتهم.

ج - سيتم تعيين ضباط كورد للعمل على 'التهديئة في منطقة بارزان بتوجيه من ماجد مصطفى'

د - سترسل الجيوب الى المناطق التي عانت من القتال.

هـ - سيتم سحب القوات العراقية من ميركه سور، ولكن سيعاد تأسيس بعض مراكز الشرطة في تلك المنطقة^(٣٠).

كتب ماجد مصطفى' تقريراً قيّم الحوادث في بارزان ، وميّر فيه بين الشكاوى الشرعية للكورد من ناحية والمصالح الشخصية لبعض العناصر الكوردية من جهة اخرى. وفضلا عن ذلك فانه اشار الى ان الوضع كله نتج بصورة رئيسية عن فشل الادارة العراقية في التعامل مع مأزق السكان الكورد . وراى' ماجد مصطفى' ايضاً أن بعض العناصر ، وعلى' نحو خاص ملا مصطفى' ، كانوا يستغلون عدم الاستقرار السياسي ومظالم سكان كوردستان لمنفعتهم الخاصة . وانه بقدر تعلق الامر بملا مصطفى' واتباعه فان السلطات العراقية عاملتهم بطريقة سيئة .

عندما كانوا في منقاهم في السليمانية^(٣١). وقد اثبتت محاولات ماجد للتوصل الى حل سلمي لمشكلة بارزان عدم جدواها.

في ١٦ حزيران ١٩٤٤ اجتمع السفير البريطاني في بغداد كينهان كورنواليس مع وزير الداخلية العراقي لاجراء مناقشات اضافية حول الوضع في كردستان ، وانتفاضة بارزان على وجه الخصوص. وقد زعم الوزير ان القوة يجب ان تُستخدم فقط كملاذ أخير ، وان كل جهد يجب ان يُبذل اولاً لكسب ثقة ملا مصطفى' واقناعه بالتخلي عن اسلحته وتفريق اتباعه^(٣٢) وليس هناك دليل عما اذا كان السفير متفقاً تماماً مع هذا الموقف. ومهما يكن فانه كان مقتنعاً بأن افضل خيار لحل مشكلة بارزان هو عزل ملا مصطفى' عن القضية الكردية برمتها. وان هذا يمكن تحقيقه عن طريق ارضاء المطالب الكردية عبر تبني سياسة سخية . واقتراح كورنواليس ايضاً ان تعلن الحكومة العراقية مباشرة برنامجاً لاصلاح احوال كردستان^(٣٣). وكان السفير مقتنعاً بأنه ما ان يُتبع اقتراحه فان ملا مصطفى' سيعود، على اكثر احتمال، الى مكانه الحقيقي بدلاً من ان يُعتبر بطلاً للحقوق الكردية^(٣٤). وانتهى الاجتماع بالاتفاق على ثلاثة نقاط رئيسية استهدفت حل مشكلة بارزان، وبموجبها كان على الحكومة:

أ- ان تعلن مباشرة عزمها على تبني سياسة سخية تجاه الكورد .

ب- ان تنظر بشكل عاجل في المشاريع (مدارس ، مستشفيات، طرق... الخ) التي يجب القيام بها هذه السنة ؟ ويجب الدعاية للبرنامج بين الكورد، وان يبدأ العمل الفعلي باسرع وقت ممكن.

ج- ازالة الحامية العسكرية من بله (مركز اداري في منطقة بارزان)^(٣٥).

لم يكن وزير الداخلية ، الذي كان معروفاً بموقفه المناويء للكورد ، راغباً في اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ ماكان قد تم الاتفاق عليه بينه وبين كورنواليس. وحاول الوزير ، على الاقل مؤقتاً ، اعاققة تنفيذ النقطة (ب) بالاشارة الى عدم وجود بنود [خاصة بها] في الميزانية، والنقطة (ج) بالقول ان سحب الحامية العسكرية من بله يتطلب وقتاً^(٣٦). وبعد الاجتماع بوقت قصير اصدر رئيس الوزراء العراقي تصريحاً في ٢٤ حزيران اوضح فيه انه ليس لدى الحكومة نية للقيام باي برنامج محدد للمناطق الكردية. وبعد يومين بعث ملا

مصطفى' ، باسم عشائر بارزان والزيبار، رسالة الى رئيس الوزراء العراقي ناشده فيها بتلبية طلب الاصلاحات (٣٧) وكان رد فعل السفير البريطاني على ذلك هو ارسال رسالة الى ملا مصطفى' يلح عليه فيها بان يترك السياسة(٣٨).

* * *

بُذلت محاولات اخرى' ايضا لاقناع ملا مصطفى' بتفريق اتباعه المسلحين وتسليم البنادق التي كان قد تم الاستيلاء عليها في الخريف الماضي. وفُهم بان القوات العراقية ستُسحب من بله في مقابل تعاون ملا مصطفى' بهذه الطريقة (٣٩). وكان على الرائد كنج ، مساعد المستشار السياسي للمنطقة الشمالية ، حمل ملا مصطفى' على وقف الاعمال العدائية ضد الحكومة ، وتحذيرة في الوقت نفسه ايضا بان سياسته التخريبية ستؤدي ، على المدى الطويل، الى كارثة له وبؤس لشعبه في النهاية (٤٠) وكان البريطانيون مدركين الحقيقة ان ملا مصطفى' كان قد بسط حينذاك نفوذه على المنطقة الواقعة بين العمادية وعقره وراوندوز و[بين] الحدود التركية والفارسية . وكان ملا مصطفى' يعمل ايضا على اقامة حلف مع رؤوساء عشيرة الزيباري . وكان انطباع كنج انه سيكون من الصعب التوصل الى اية تسوية بين ملا مصطفى' والحكومة العراقية ، وبان البديل الوحيد المُتاح امام الحكومة العراقية هو اعداد الجيش لحملة ضد قائد الثورة . وعلى اية حال فان السفير البريطاني نصح الحكومة في لندن بان من مصلحة البريطانيين تجنب الاضطراب في كردستان في هذا الوقت (٤١).

* * *

استمرت انتفاضة ملا مصطفى' وفشلت مرارا الجهود الرامية الى حل المشكلة من خلال المفاوضات(٤٢). وتبعاً لذلك ازدادت رغبة الحكومة العراقية في استخدام حل عسكري . وكان القلق البريطاني بخصوص الثورة والحالة العامة في كردستان اكثر وضوحاً من قبل فقد تخوف البريطانيون اولاً من ان الثورة ستؤدي الى التعاون بين الكرد في انحاء كردستان الكبرى وان الفكرة قد تنتشر في اجزاء اخرى من العراق (٤٣). وعلاوة على ذلك فان الكورد في العراق قد يتطلعون الى اجراء اتصالات مع الاتحاد السوفيتي ويكونون بذلك اداة لتقدم

الاهداف السوفيتية. ويجب فهم وجهة النظر البريطانية في ضوء مصالح بريطانيا العظمى الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة . فالثورة قد تؤدي ، على سبيل المثال ، الى موقف يدفع بالضباط العراقيين الى الاقدام على فعل ضد البريطانيين في العراق . وفي برقية مرسله من وزير الخارجية العراقي ارشد العمري الى السفارة البريطانية في بغداد وُصف الموقف في كردستان بأنه خطير . وتخوف الوزير من ان اضطراباً خطيراً قد يندلع ليس بعد اكثر من الخريف ، وان هناك عملاً شاملاً يُخطط له ويشمل ليس رئيس عشائر الكورد في العراق حسب بل وفي بلاد فارس وتركيا ايضاً . ووفقاً للوزير فان التقارير الحديثة الواردة من تبريز تشير بوضوح الى ان لروسيا دوراً في كل هذا(٤٤). وعلى اية حال فان وزير الخارجية ابلغ البريطانيين بأنه ليس هناك دليل على نشاط سوفيتي في منطقة البارزان . ومن ناحية اخرى شعر الوزير بان هناك سبباً للشك في ان مبعوثين من ملا مصطفى قد أرسلوا الى كردستان الايرانية ، حيث من المحتمل ان يتصلوا مع عناصر تخريبية(٤٥). وكان الوزير مهتماً بشكل خاص بالبعد الاقليمي للتطورات في كردستان . ان انتفاضة كوردية شاملة قد تُشجع الكورد في ايران على القيام بعمل مماثل ، حيث ستكون الحكومة بلا قوة في مواجهة مثل هذه التطور ، والكورد في تركيا ، حيث لدى الحكومة القوة اللازمة للتعامل مع الكورد بقسوة تامة . وشعر الوزير بان اي تمرد كوردي كبير في العراق قد يدفع الاتراك الى شن غارات داخل كردستان العراق لغرض «استعادة النظام» . ولهذا كان امراً ملحاً بالنسبة للحكومة العراقية القيام بعمل لمعالجة الوضع قبل تفاقمه(٤٦).

ارادت الحكومة العراقية ان تبقى الامريكان على علم بالنوايا العراقية والاجراءات التي ستتخذها الحكومة العراقية ضد انتفاضة بارزان . ووفقاً لذلك فان وزير الخارجية العراقي ، الذي كان وزيراً للدفاع بالنيابة ايضاً ، ابلغ الوزير [المفوض] الامريكي في بغداد بان الحكومة العراقية تخطط لشن هجوم واسع ضد انتفاضة بارزان(٤٧). وكان السفير البريطاني نفسه مقتنعاً بان مركز ملا مصطفى يتبلور وان الاجراءات السلمية سوف لن تكون مثمرة. ومع ذلك ذكر السفير بان رئيس البعثة العسكرية البريطانية في العراق وآخرون قدروا بان الجيش العراقي ليس في حالة تسمح له بالقيام بعمل عسكري ضد ملا مصطفى(٤٨). وقد الحّ السفير بان الخيار الافضل هو اخلاء المناطق التي لا يمكن حمايتها وعزل المنطقة اقتصادياً

وعلاوة على ذلك، ووفقاً لمقترحات بعض الضباط البريطانيين، يجب ان تباشر الحكومة العراقية في الحال عملاً مكثفاً لاعادة تنظيم وتدريب الجيش ، بحيث يشتمل على تشكيل فرقة جبلية . وقد حسب حساب دعم الطائرات البريطانية للجيش العراقي في كل عمل كان يجب القيام به ضد رجال ملا مصطفى. ووضح السفير لوزير الخارجية العراقي بانه لايمكن توقع مثل هذه المساعدة طالما ان ماموجود لدى البريطانيين يكفيهم تماماً وليس لديهم رجال او معدات يمكن توفيرهم لعمليات في كوردستان (٤٩). ومنذ خريف ١٩٤٤ ولغاية انهيار الانتفاضة في اواخر ١٩٤٥ صار البعد الدولي لانتفاضة بارزان اكثر شأنًا في اي وقت مضى . وازدادت امكانية التورط السوفيتي في الانتفاضة، وهذا بدوره دعم قلق الامريكان .

القلق الامريكي :

كان تردي الاحوال في كوردستان العراقية بشكل رئيسي في منطقة بارزان، مصدر قلق للامريكان (٥٠). وقد أمرت وزارة الخارجية الامريكية الوزير [المفوض] الامريكي في بغداد لوي هندرسون بجمع معلومات دقيقة عن الوضع في كوردستان العراقية وموقف الحكومتين البريطانية والعراقية من المسألة . وفي ١٤ آب ١٩٤٤ اجتمع هندرسون مع وزير الخارجية العراقي ارشد العمري الذي تناول عدداً من الموضوعات المتعلقة بالقضية الكوردية . واكد العمري على وجوب النظر الى الحالة في كوردستان العراقية بوصفها مسألة دولية اكثر من كونها مسألة عراقية داخلية حصراً . وازافة الى ذلك زعم بان اقامة كوردستان مستقلة سيؤثر في السلامة الاقليمية لايران والعراق وتركيا . وان مثل هذا التطور ، حسبما استنتج العمري ، سيكون موضع اهتمام الدول الكبرى ، اي بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية، بدرجات متفاوتة (٥١).

ومهما يكن فان الوضع في كوردستان العراقية استمر في التدهور خلال عام ١٩٤٥ . وشعر اعضاء في الحكومة العراقية بان صبرهم بدأ ينفذ، وان البريطانيين في بغداد سيقدرون وجهة نظر الحكومة العراقية (٥٢). ومع ذلك فان كلاً من ممثلي بريطانيا والحكومة العراقية اعتقدوا بانه ربما مازال في الامكان اقناع ملا مصطفى بحل القوة التابعة له والتخلي عن اسلحته وكان الموقف السائد بين كل من الوزراء العراقيين وممثلي بريطانيا هو انه لايمكن توقع سلم في

الشمال دون سحق ملا مصطفى' (٥٣). وكان البريطانيون مستعدون الان للتعاون مع الحكومة العراقية لانتهاء انتفاضة بارزان. وقد ارسل البريطانيون ، من خلال سفيرهم في بغداد ، تحذيراً الى ملا مصطفى مؤكدين «بان هذا هو التحذير الاخير الذي يمكن ان يتوقعه [ملا مصطفى] من سفارة حكومة صاحب الجلالة، واذا استمر في تجاهله فان عليه ان يتحمل العواقب» (٥٤) ورغم ان الحكومتين العراقية والبريطانية اتفقتا اخيراً على وجوب القيام بعمل عسكري في منطقة بارزان، الا انه كانت هناك علائم عدم اتفاق بين الجانبين اذ اراد المستشارون العسكريون البريطانيون، على سبيل المثال ، الاحجام عن اي عمل متهور او مستعجل. وقد سُويت هذه الاختلافات في سياق لقاء بين رئيس الوزراء العراقي والسفير البريطاني في بغداد (٥٥). وفي آب ١٩٤٥ كان الجيش العراقي مهياً للقيام بعملية كبيرة ضد الانتفاضة.

عندما شُنّت العملية ضد ملا مصطفى' (٥٦) استدعي السكرتير الاول في السفارة البريطانية بواشنطن أي . اج. تاندي الى قسم شؤون الشرق الادنى في وزارة الخارجية الامريكية في ٧ ايلول ١٩٤٥. وفي المحادثات التي جرت بين تاندي ورئيس القسم المذكور كوردن ميريام عبر الاخير عن «بعض القلق» بخصوص الحملة ضد الكورد في العراق . وقال ميريام بانه رغم ان الحملة تدار من قبل الحكومة العراقية ولكن يبدو ان ملامحها الاساسية قد رسمت من قبل البريطانيين ، وانها في الواقع قد تحققت بوحى [من بريطانيا] (٥٧). وفي حين ان تاندي لم ينكر الدور الذي لعبه البريطانيون في الحملة ، الا انه كان مهتماً أكثر بمناقشته التعقيدات التي ستنتج عن دعم سوفيتي محتمل للكورد في العراق، وفيما اذا كانت المشاركة البريطانية الفعالة في الحملة يمكن ان تؤدي الى رفض السوفييت سحب قواتهم من ايران بعد نهاية الحرب (٥٨).

خلق اسلوب هذه المحادثة شعوراً بعدم الارتياح لدى البريطانيين الذي ارادوا معرفة سبب قلق رئيس قسم الشرق الادنى على وجه الدقة واثرا استلام تقرير عن المحادثة ، فان رد فعل القائم بالاعمال البريطاني في بغداد جي. اج. طوميسون تجاه عبارة «بعض القلق» كان مشوباً بالانزعاج . ولذا فانه سأل السكرتير الثاني في المفوضية الامريكية في بغداد روبرت. جي ميمنكر عما اذا كان هناك قلق امريكي حول دور البريطانيين في الحملة [العسكرية] في كوردستان . فاشار ميمنكر الى أن الحملة في كوردستان هي اجراء موحى به من قبل

البريطانيين الى حد كبير، وهو في حد ذاته مبعث قلق ليس فقط للكورد والعراقيين والبريطانيين بل ، في الحقيقة ، لكل بلد مهتم بالاستقرار الدولي . وذكر ايضاً بأنه حتى لو قبل المرء بالادعاء البريطاني بان وزير الداخلية العراقي هو الذي اقترح الحملة اصلاً فإنه كان بإمكان البريطانيين ان يعيقوها منذ بداياتها (٥٩).

وفيما يتعلق بالتورط السوفيتي المحتمل في الانتفاضة اكد القائم بالاعمال البريطاني في بغداد طومبسون بأنه لم يشاهد اي دليل يؤكد علاقة السوفييت بالوضع [في كردستان] (٦٠). ومهما يكن فان هذه المسألة قد ولدت تقارير متضاربة من مصادر مختلفة. فقد كانت هناك بعض الادعاءات بان السوفييت يشجعون الضباط السابقين الكورد في الجيش العراقي ، والذين كان عدد منهم في كردستان الايرانية وقتئذ (٦١). ومع ذلك ليس هناك دليل مباشر يؤكد اي شكل من الدعم السوفيتي لانتفاضة ملا مصطفى . والواقع ان ملا مصطفى اكد، في محادثة جرت في ربيع ١٩٤٧، بأنه قام بمحاولات عدة لكسب الدعم السوفيتي لنشاطاته وبن السوفييت رفضوا التورط في انتفاضة بارزان (٦٢).

تابعت المفوضية الامريكية في بغداد اخبار الحملة وكانت مهمته بشكل خاص بالدور البريطاني في هذا السياق . وقد صرح طومبسون بان بداية الحملة كانت سيئة ومع هذا فانها ستثبت كونها ناجحة في النهاية ، وبان بريطانيا لاتشجع ولا تحمي اية اقلية في العراق لانها تريدهم ان يكونوا عراقيين جيدين ، وبان الهدف الداخلي هو مساعدة العراق في ضمان السلم . وعلى اية حال فان طومبسون ذكر بأنه قد نصح الحكومة العراقية بان لمظالم الكورد مايررها وبان على السلطات العراقية ان تتخذ في الحال خطوات بناءً بخصوص هذه المسألة (٦٣). كان البريطانيون قلقين من الاهتمام الامريكي بالشؤون الكوردية . وتبعاً لذلك زوّد تاندي الامريكان في اواخر ايلول باحدث المعلومات عن الحملة . وقد اعلم تاندي موظفاً في وزارة الخارجية الامريكية هو ادريان كولوكيت بان البريطانيين قد هيأوا عدداً من الحاويات لالقاء الامدادات جواً ، واكد بان تبني الحكومة العراقية للحملة كان ضرورياً لحفظ الامن الداخلي . و اشار تاندي ايضاً بأنه ليس هناك دليل عن اي تورط أو دعم سوفييتي لانتفاضة بارزان . وبان الحملة ضد الثورة سوف لن تؤثر في المناقشات الجارية حالياً مع السوفييت بخصوص مشاكل الشرق الاوسط (٦٤).

قام النقيب ارشيبالد ب. روزفلت، مساعد الملحق العسكري في المفوضية الامريكية [في بغداد] ، بزيارة الى السليمانية في بداية تشرين الاول ١٩٤٥ استغرقت اسبوعاً بهدف ملاحظة الحالة هناك. وقد لاحظ روزفلت استياء متزايداً من افعال الحكومة العراقية في كردستان. وبالإضافة الى ذلك فانه ذكر بان هناك تقارير معتمدة مفادها ان السلطات العراقية في كردستان تقوم بحملات اعتقال تعسفية بين الكورد ، وتحتجزهم في معسكرات اعتقال، وتنفذ عمليات اعدام سريعة بين المدنيين (٦٥) ان كلاً من السفارة البريطانية والمفوضية الامريكية في بغداد كانتا على علم بمأزق الكورد ، وان قلقهما المشترك ادى الى اتصالات بين الجانبين حول التطورات في كردستان . وقد بينَ البريطانيون عدم رضاهم عن الحالة ، ووضحوا في الوقت نفسه ان بإمكان السفير البريطاني ان يفعل مايشاء مع ملا مصطفى أو مع اي من جماعته المقربين ، ولكن عليه التوكيد بان الشعب الكوردي يجب ان يُعامل برفقٍ اكثر بكثير (٦٦).

ساعد سلاح الطيران الملكي البريطاني (RAF) الجيش العراقي في حملته، وبالتالي فان ملا مصطفى وقواته أُجبروا على الانسحاب وعبور الحدود العراقية - الايرانية الى كردستان الايرانية.

ليس هناك دليل على دعم ملموس من الكورد الايرانيين لملا مصطفى اكثر من بعض التمجيد للثائر كقائد قومي. وعلاوة على ذلك لم تكن لانتفاضة بارزان تأثيرات عميقة على كردستان الايرانية ، وان فرار ملا مصطفى الى كردستان الايرانية عند نهاية الثورة لم يسبب تحريضاً مهماً في هذه المنطقة.

عندما عبر ملا مصطفى الحدود الى ايران كان الكورد هناك يبدون على وشك اعلان جمهورية مستقلة ذاتياً . وقد اعطى ممثلوا بريطانيا في العراق والحكومة العراقية اهتماماً شديداً لهذا الترابط بين التطورات . وكان كلُّ من البريطانيين والعراقيين قلقين من احتمال تأثر الكورد في العراق بحوادث كردستان الايرانية بشكل ما ، او ان يتورطوا فيها مباشرة . وقد بحث السفير البريطاني عن اجراءات مناسبة للحد من اثر التطورات في كردستان الايرانية على كردستان العراقية. و اوضح السفير لرئيس الوزراء [العراقي] بأن على الحكومة العراقية ان تُطمئن الكورد في العراق بان المصالح الكوردية سوف لن تُهمل . وبدا مهماً بشكل خاص

بان الكورد في العراق يجب ان يُمنعوا من البحث عن اصدقاء في مكان آخر خارج العراق (٦٨).

خيارات سياسية:

في موازرة الانتفاضة في بارزان ، اراد عدد من الكورد ذوي التوجه القومي سياسياً ان يلفتوا انتباه القوى 'العظمى' الى مأزق الشعب الكوردي . وقد طالب هؤلاء بوجود وضع القضية الكوردية على جدول اعمال مؤتمر الصلح الذي سينعقد عند نهاية الحرب . وارادوا اقناع القوى 'العظمى' بان الكورد ، سواءً في تركيا وايران او العراق ، يتعرضون للقمع والتمييز العنصري . وبانهم يجب ان يُمنحوا وضع امة مستقلة . وفي الوقت نفسه طالب العديد من هؤلاء بقبول حل في اطار العراق ، اي منح كورد العراق حكماً ذاتياً محلياً ، اذا تُبِت بان حالة الدولة المستقلة غير ممكنة (٦٩). فقد قدم التماسٌ معنونٌ «باسم الشعب الكوردي» ويحمل توقيع ٢٨ من وجهاء الكورد في السليمانية ، والذين كان معظمهم من القادة العشائريين والدينيين ، الى ممثلي ولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا. وذكر النداء الفضايح التي اُرتكبت من قبل حكومات تركيا وايران والعراق ، والتي اُتهمت بـ «ذبح» الكورد في بلادها. واقترح ايضاً وجود تشكيل لجنة دولية لبحث حالة الكورد (٧٠).

* * *

ان الاحزاب السياسية الكوردية والقوميين الكورد كانوا يدركون اهمية دعم القوى 'العظمى' في الحصول على الاستقلال او الحكم الذاتي الكوردي . والواقع ان هناك اتصالات عديدة اجراها قوميون كورد مع القوى 'العظمى' ومع الامم المتحدة ايضاً وكان حزب رزكاري الكوردي من بين الجماعات التي اجرت مثل تلك الاتصالات . ففي مذكرة الامم المتحدة . أرسلت من خلال عدد من المفوضيات والسفارات الدبلوماسية في بغداد ، عرض حزب رزكاري مظالم الكورد وناشد المجتمع الدولي بدعم المطالب الكوردية في مذكرة [اخرى] بان الحكومتين البريطانية والعراقية قد تسببتا في معاناة وامتعاض الكورد في العراق . وكان الحزب يعمل

بشكل سري في كردستان العراقية ، ومع ذلك كانت شكاواه موجهه ضد حكومات ايران وتركيا لقيامها بقمع الكورد . وقد جاء في مذكرة حزب رزكاري ، الذي وصف بكونه تنظيمًا يساريا ، بان :«الكورد ورفاقهم [الاذريبيجانين] مدينون بحريتهم الى عدم تدخل الاتحاد السوفيتي في شؤونهم ورفضه دعم ومساعدة الحكومة المركزية في طهران. ولكن بما يؤسف له تماما ان السلطات البريطانية تقوم ، في المنطقة التي يحتلها البريطانيون، بدعم الحكومة المركزية في طهران معنويا بل وحتى ماديا ، لاحتباط وقمع حركات التحرر القومي خلافا لبندو ميشاق الاطلنطي» (٧١).

وادعى حزب رزكاري بان الكورد في المنطقة التي يحتلها السوفييت في ايران يتمتعون بحرية كاملة ، وبانهم منحو حرية تامة للتعبير عن ارائهم واحياء ثقافتهم الخاصة . (٧٢) وفي مذكرة أرسلت الى مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو عرض حزب رزكاري مأزق الكورد ومطالبتهم بالحقوق القومية . ودعا حزب رزكاري الى تحقيق الحقوق القومية للكورد في العراق ، كما اعلن تأييده ايضا لنضال الكورد في ايران. وعلاوة على ذلك طالب الحزب بوجوب اخذ مظالم الكورد في تركيا بنظر الاعتبار (٧٣) . وكان الهدف الاساسي لحزب رزكاري من مناقشة مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو هو وضع القضية الكوردية على جدول الاعمال ، وعلى اية حال ليس هناك دليل على ان القضية الكوردية قد نوقشت فعليا ، ولا يوجد في السجلات الرسمية البريطانية والامريكية او سجلات الامم المتحدة ما يدل على التعامل مع التماسات حزب رزكاري.

السياسة الكوردية الحذرة لبريطانيا العظمى :

اتسمت السياسة البريطانية تجاه الكورد في العراق بالحذر عموما . وقد انعكس هذا ، على سبيل المثال ، في رد الفعل البريطاني تجاه امكانية تجنيد الكورد في العراق للخدمة في القوات البريطانية . ففي عام ١٩٤٢ ناقش البريطانيون امكانية تجنيد الكورد والارمن والاثوريين . وقد أثيرت القضية مع وزارة الحرب البريطانية من قبل القائد العام للقوات البريطانية [في الشرق الاوسط (٧٤) . وكان رأي وزارة الخارجية البريطانية هو ان مثل هذا الاجراء يمكن ان يثير عداء عناصر الاكثرية [اي العرب] ، وسيفرض على الحكومة البريطانية

التزامات تجاه الاقليات قد يكون تحقيقها بعد الحرب مستحيلاً^(٧٥). وناقش ونستون تشرشل نفسه مقترح التجنيد واكد بان ذلك سوف يعرضه « للكثير من النقد المناويء اذا ما وافق على فتح باب التجنيد في العراق للخدمة في القوات البريطانية »^(٧٦). ويبدو ان البريطانيين امتنعوا عن منح اية وعود للكورد لتفادي انزعاج الحكومة المركزية في بغداد ، وربما حكومة تركيا ايضاً .

* * *

ان السياسة الحكومية البريطانية تجاه العراق نوقشت في اجتماع لهيئة السفارة البريطانية في بغداد ، مع التركيز بشكل خاص على موقف بريطانيا العظمى تجاه الكورد . وازافة الى التأكيد على تنفيذ معاهدة التحالف الانكلو - عراقية لعام ١٩٣٠ ، فقد تم التأكيد ايضاً بان السياسة البريطانية تجاه العراق تنطوي على ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

أ- ضمان تقديم الحكومة العراقية والشعب العراقي ، من خلال تبني سياسة صداقة ، كل مساعدة لقواتنا المسلحة بروح التعاون الطوعي.

ب - تشجيع الحكومة العراقية والشعب العراقي على المساهمة في المجهود الحربي ، لاسيما من خلال زيادة انتاج البلد.

ج - الحفاظ على المصالح البريطانية بوجه عام^(٧٧).

كان السفير البريطاني معنياً بشكل خاص بمعاهدة التحالف الانكلو - عراقية والتي اكدت على عدم تدخل بريطانيا في ادارة العراق الداخلية . ومن جهة اخرى صرح السفير بان الاستثناء الوحيد لهذا كان قضية الكورد ، او بشكل ادق تورط السفارة في ارسال تحذير الى ملا مصطفى . ووُصف الموقف في كوردستان العراق في الاجتماع بانه لا يبعث على الرضا ، وبانه يتطلب اكثر دقة . وذكر ايضاً بان النزاع بين الكورد والحكومة العراقية نزاع قائم منذ وقت طويل وان حل القضية الكوردية سيعود بالفائدة على الحكومة العراقية على تنفيذ الاصلاحات في كوردستان ضد رغبتها يعني ان اي تحسن لاحق [في الوضع] سيكون وقتياً فقط . وعلاوة على ذلك تم التوصل الى انه ليس بإمكان البريطانيين عمل اي شيء اذا ما انقلبت الحكومة العراقية ضد الكورد بعد نهاية الحرب^(٧٨). ومهما يكن فان السفير قد ابدى

ملاحظة بانه كان قد اشترك في الجهود الرامية الى ممارسة الضغط لاقناع الحكومة العراقية يتبنى موقف اكثر تعاطفاً تجاه المشكلة الكوردية^(٧٩). وأدرك البريطانيون ان مظلمة الكورد الاساسية في العراق متأصلة في عدم الثقة الكوردية في الحكومة العربية ببغداد^(٨٠). وختاماً يبدو ان البريطانيين تطلّعون الى شكل من اشكال التوازن [في سياستهم] بين الكورد والحكومة العراقية، ومع ذلك لم يكن بمقدورهم التخلي عن تحالفهم الاستراتيجي مع الحكومة العراقية وبتعبير آخر فانهم منحوا الاولوية لمصالحهم التي يمكن ضمانها بشكل افضل من خلال اساليب التعاون مع الحكومة المركزية في بغداد .

ان مصطلح «السياسة البريطانية» في هذا السياق يشير الى السياسة الرسمية للحكومة البريطانية وكذلك سلوك السفارة البريطانية في بغداد تجاه الكورد . كانت السفارة على اتصال مباشر بالحكومة العراقية ، وكانت تتورط احيانا في اتصالات مع الكورد ، وان السفارة كانت تترجم الملامح الرئيسية لسياسة الحكومة البريطانية ان المستوى الاخر من السياسة يشمل الضباط البريطانيين الذين كانوا يعملون في مناطق كوردية، والذين كانوا على اتصال مع الكورد ومع حياتهم اليومية . لقد كان بإمكان هؤلاء الضباط وان يلاحظوا بشكل مباشر الحالة التي لا تبعث على الرضا في كوردستان، وكان بإمكانهم ان يتأثروا مباشرة بالانتقاد الكوردي للحكومة العراقية . ولهذا ابلغ السفير البريطاني في بغداد هؤلاء الضباط بانه يمكن النظر اليهم كاشخاص غير مواليين اذا عبروا عن عدم اتفاقهم مع سياسة حكومتهم . ولذا فان هذا استلزم ان يكون الضباط البريطانيون حذرين جداً فيما يقولونه للسكان الكورد المحليين^(٨١). وتم التأكيد مجدداً فيما بعد بان اعضاء الهيئة الاستشارية السياسية في المناطق الكوردية «لم يشغلوا انفسهم بالسياسات المحلية او النزاعات الشخصية ، وكان عليهم ان يفعلوا كل شيء لمعارضة النمو المستمر لعقدة الاقلية «minority complex»^(٨٢).

ومع ذلك كانت الحكومة العراقية مقتنعة بان الضباط البريطانيين يعطون ، عن قصد او دون قصد ، الانطباع بانهم متعاطفون مع طموحات الكورد . ففي عام ١٩٤٤ أنب وزير الخارجية العراقي ارشد العمري البريطانيين في العراق بقسوة بسبب مسلك العديد من الضباط البريطانيين في تشجيع القومية الكوردية^(٨٣) . والواقع ان البريطانيين تجنّبوا التعامل مع الكورد ومع الاقليات القومية - العرقية الاخرى كجماعات قومية مميزة . وبدلاً من ذلك كان

يجب النظر الى الافراد الذين ينتمون الى مثل هذه الجماعات بصفتهم رعايا عراقيين على وجه التحديد وليس اقلية مميزة . وتم التأكيد بان كل المظالم يجب ان تُقدم الى الحكومة العراقية عبر قنوات دستورية . وكان البريطانيون ميالين الى اتباع سياسة تهدف ليس فقط الى دمج الكورد في الدولة العراقية بل واستيعابهم ايضا . وقد لاحظ السفير البريطاني في بغداد بانه سيكون من الافضل ، على المدى البعيد ، اتباع سياسة تهدف الى تشجيع الدمج (٨٤) . ومن جهة اخرى اكد السفير بان عليه وعلى اعضاء هيئة السفارة تشجيع الحكومة العراقية على بدء برنامج تطوير الخدمات التعليمية والاجتماعية في المناطق الكوردية . كما يجب منح الكورد الفرصة للحصول على حصة مناسبة في المناصب الحكومية (٨٥) وصرح السفير بانه يجب اعلام العراقيين ايضا بان السياسة البريطانية تجاه الكورد ، كما اكدت عليها المذكرة المساعدة الموجهة الى رئيس الوزراء العراقي ، منسجمة تماما مع مصالح المملكة العراقية (٨٦) .

المفاوضات مع شريف باشا :

في اواخر عام ١٩٤٥ وبداية عام ١٩٤٦ سعى شريف باشا ، القائد الكوردي المعروف منذ مفاوضات مؤتمر سفير ، والضابط السابق في الجيش العثماني ، الى الحصول على دعم بريطاني لحل المعضلة الكوردية وبمساعدة من السفير البريطاني في القاهرة والتر سمارت اتصل [شريف باشا] بوزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط(*) . وعلى اية حال فان سمارت ذكر ، في معرض تعليق على اتصال شريف باشا بوزارة الخارجية البريطانية ، بانه كان من الامور المهمة حينئذ عدم اعطاء الحكومة العراقية سببا للشك في ان البريطانيين يدعمون القوميون الكورد واذاف بانه اذا استقبلت السفارة البريطانية في القاهرة شريف باشا مرة ثانية فان هذا سيخلق انطباعا سلبيا لدى الحكومة العراقية . فضلا عن ذلك تخوف السفير من ان الشريف باشا قد يُسيء تفسير اي اتصال آخر على انه انعكاس لتعاطف [بريطاني] رسمي (٨٧) . وطالب السفير بوجوب عدم استقبال شريف باشا ثانية في السفارة ، وبان الاتصالات معه يجب ان تتم عبر قنوات اخرى . وهكذا سيبقى البريطانيون على علمٍ

(*) ورد في النص الاصيلي وزير المشرق Orient minister والصواب هو وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط . وكان مقره في القاهرة (المترجم) .

بنشاطاته على الاقل (٨٨).

عبرت وزارة الخارجية البريطانية عن هواجس محددة بخصوص محادثة بين شريف باشا ووزير الدولة البريطانية في الشرق الأوسط، والفرصة التي مُنحت لشريف باشا للقاء مع السفير البريطاني في القاهرة. ويمكن ان تكون المبادرة التي اتخذت من قبل سمارة «مخالفة للموقف الذي صدرت التعليمات الى الموظفين البريطانيين بتنبيه في العراق. بل ويمكن ان يؤدي الى اتهامنا من قبل العراقيين بسوء النية... ويجب عدم اجراء اتصالات اخرى مع شريف باشا» (٨٩) وابدت السفارة البريطانية في بغداد ملاحظة مفادها بان من الافضل تجنب شكوك العراقيين بخصوص تورط بريطانيا في دعم اي شكل من اشكال الاستقلال الكوردي. وذكر ايضاً بأنه ليس لشريف باشا نفوذ في كردستان لانه كان في اوربا منذ بداية القرن (٩٠) ومع ذلك فمن الواضح ان شريف باشا قد اقام اتصالات مع عدد من وجهاء الكورد في ألوية كركوك والسليمانية والموصل. وكانت المطالبات تتركز كلها على قضية الحكم الذاتي لكوردستان العراق في اطار الدولة العراقية، وليس استقلالاً كوردياً بذاته Perse. كان شريف باشا مقتنعاً بان اقامة كردستان مستقلة تشمل كل اجزاء كردستان أمر غير ملائم (٩١).

عبر شريف باشا عن رأيه في القضية الكوردية بوضعه المسألة ضمن الاطار الاوسع لسياسة القوى العظمى. وتوصل الى ان «الروس في بلاد فارس يسيطرون بالمال وبوسائل اخرى على كورد بلاد فارس. واذا لم تفعل بريطانيا العظمى شيئاً على وجه السرعة فان الروس سيكونون، بصورة غير مباشرة، في كركوك» (٩٢). لقد اراد شريف باشا ان يظهر بأنه يفهم المصالح السوفيتية والبريطانية في كردستان وتنافسهما عليها. وبدووا ايضاً انه كان مهتماً بعقد صفقة مع البريطانيين تتضمن وعداً بدعم كوردي لبريطانيا العظمى في مواجهة السوفييت وامتداد نفوذهم الحقيقي او المزعوم الى المنطقة، وفي مقابل ذلك تدعم بريطانيا المطالب الكوردية. وكان المسؤولون البريطانيون يرون بان الأمر الاكثر اهمية هو بقاء كردستان العراقية في صف البريطانيين، وان تُشكل متراساً ضد التقدم الروسي (٩٣) ومهما يكن فان السياسة البريطانية قد رُسمت بعد الغزو الانكلوسوفيتي لايران مباشرة، وان من شأن كردستان عراقية ذات حكم ذاتي ان تدعم الحركات الانفصالية في كردستان

ايران وتركيا، وهذا سيقوض مصالح بريطانيا العظمى في كل انحاء المنطقة. ولما كان
البريطانيون حلفاء لتركيا والعراق وبلاد فارس فانهم شعروا بانهم لا يستطيعون تشجيع اية
حركة من شأنها اضعاف اولئك الحلفاء (٩٤).